العام الهجري

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## عدد ممتاز

الخميس ٢ محرم ١٣٨٤ هـ – ١٤ مايو ١٩٦٤ م

# الرسالة


## الفهرس




رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت

بريد
محمد فريد - القاهرة

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



# هلالٌ من أهلّةِ الرشيد

## بقلم أحمد حسن الزيات



بزغ هلال المحرم من هذا العام على دنيا الاسلام بالأمل الباسم والنصر الحاسم والوجود المستقل بعد ان غامت على أهلة الرشيد سموات الشرق والغرب زهاء ثمانية قرون دجا فيها الظلام حتى كاد يسطو على نور الوحى ، وكلب الزمان حتى كاد يعفى على تراث النبوة ، ودالت دولة العرب والمسلمين حتى لم يبق لهم دولة سائدة ولا وحدة جامعة ، وانما اصبحت ديارهم وآثارهم مما ترك الرشيد والعزيز والناصر نهبــا مقسما بين المغول والفرس والترك والكرد والجركس والأسبان والطليان والفرنسيين والانجليز ولو لا أن الله ادخر نصره العزيز للامة التى أخرجهــا لهداية الناس وقيادة العالم لما اسفر هلالها بعــد احتجابه ، وعاد استقلالها بعد ذهابه : ادخر لهــا القوة الروحية فى قرآنه وفى أزهر المعز ، والقوة المادية فى سلطانه وفى جيش مصر ، فالازهر مشكاة سراجه المنير ظل مرتفعا فى طريق الدعوة العظمى يقود الشعوب الاسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب الى ملتقى السلامة والكرامة والوحــدة ، وجيش مصر كنانة جنده المنصور ظل ثابتا كالطود فى وجــوه المغيرين يدفع عن العرب كوارث العدوان والطغيــان فسحق جيوش الصليبين فى حطين ، ومحق جيش التتار فى عين جالوت ، وتصدى للاستعمار كله فى سائر الارض ، ثم نفخ سنة ١٩٥٢ فى الصور نفخة البعث والنشور فقامت الموتى يجررون وراءهم أكفان القبور ، وانبعثت فيهم مع الحياة نخوة الجنس الصريح وثورة المجد الاصيل وعزة التاريخ الحافل ، فبــددوا السحب عن الهلال الاسلامى المحتجب ، وشقوا الحجب عن الوجه العربى المنتقب ، ونفخوا من روحهم فى شعوب سورية والعراق والجزائر واليمن ، فانتفضوا انتفاضة الأبى المهان وثاروا ثورة الحر المستعبد .. فطردوا من أرضهم كل دخيــل ، وعزلوا من حكمهم كل عميل ، وسعى الاخوة الاحرار بعضهم الى بعض ليجددوا مابلى من أسباب المودة ، ويرأبوا ما انصدع من وشائج القرابة ، ويجلوا ماران على وجه الهلال الجديد .

بزغ هلال العام العربى الجديد على مصر الحرة المستقلة وهى أقوى دولة فى الشرق الاوسط ، تقول فتسمع ، وتسأل فتجاب ، وتأمر فتطاع ، وتؤسس مجتمعها على تقوى من الله ورضوان ، وتبنى اشتراكيتها المسلمة على قواعد العدل والاحسان ، وتقيم جيشهــا الباسل على قوى العدة والعلم ، وتنشىء شبابهــا الناهض على الفداء والبطولة ، وتعمر صحاريها الجرد

بالخبرة والعمل ، وتقسم ارزاقها الكثير على الجد والكفاية ، وتطب لامراض النفس والجسد بالمجان ، وتعيد معجزة الهرم فى معجزة السد العالى ، وتجود لشقيقاتها بالمال النفيس والدم الغالى ، وتضع الميثاق المحكم والدستور الحاكم فيرسيان اصول الديمقراطية الصحيحة ويكونان سبيلا الى كل خير ودليلا لكل دولة ٠

ويبزغ هلال العام الهجرى الجديد على سورية وهى تجاهد فى سبيل الوطن الاكبر والامة الكبرى باعلاء كلمة الحرية واعلان دعوة الوحدة بعد أن طلع عليها عامان وهى ومصر روحان فى جسد ، وبلدان فى بلد فذاقت نعمة الاتحاد ، وحمدت عاقبة التعاون ، وجنت ثمرة الاشتراكية ، واحست القوة على العدو المشترك ثم اصيبت بالنكسة فعاد المرض على اشده ، ولكنها ازمة ستنفرج وغمرة ستنجلى ، وليل سيصبح مهما يطل ظلامه ، وسيل سيبلغ مهما يحل ركامه ، وشعب سينتصر مهما يطغ حكامه ٠٠ وسورية كانت وما زالت قلب العروبة النابض وركن الاسلام الركين ، وسيبزغ عليها الهلال من قابل وهى فى الوسط من عقد الامة العربية ٠

ويبزغ الهلال الهجرى الجديد على العراق وقد تخلص من شرور الشيوعية والشعوبية والرجعية والحزبية ٠٠ وانطلق حثيثا فى الطريق المستقيم الواضح ليعيد الى الرافدين ( أيام العروس ) التى اطلقها المؤرخون على أيام الرشيد ، لانها ازدهرت بالعلم والحكمة، وزفرت بالرخاء والنعمة، وتميزت بالسلطان والوحدة ، وتمتعت الخلافة فيها بالسلام الدائم والنعيم القائم والراى الجميع ، والقائد العربى المؤمن الذى وحد كلمة العراق على ثورته ، وازال عوائق الكيد من طريق نهضته ، يضع بين يديه كتاب الله ، وتصب عينيه قبلة رسوله ثم يمضى فى هداية الوحدة والاشتراكية والديمقراطية الى الغاية التى يتوافى عليها قادة العرب الاحرار الابرار ليحققوا للدولة العظمى بايمانهم الصادق وايمانهم القوية ماقاله ابو المأمون يوما وقد راى فى الافق غمامة تريد أن ترسل السماء : « امطرى حيث شئت فان خراجك لى » ولكن كلمة (لى) التى لفظها فم الخليفة وهو يريد بها الخلافة ، ستحولها الاشتراكية التى خطتها يد الثورة العامة فى دساتير مصر وسورية والعراق والجزائر واليمن الى كلمة (لنا) وتريد بها الشعب الاكبر بعماله وزراعه وصناعه وسائر فئاته ٠

ويبزغ هلال العام الجديد على الجزائر وهى سيدة حرة عربية مسلمة بعد ما الح عليها الاستعمار الفرنسى الكافر الفاجر بالقهر والفقر والعذاب والخراب واماتة الاستقلال وافساد التعليم ونسخ اللغة ومسخ العقيدة طوال قرن وثلث ، فلم يستطع أن يخمد فى راسها نخوة العروبة ولا فى نفسها حمية الاسلام، ولا ان ينسيها ان لها وطنا محتلا مستقلا ورثته عن الفاتح عقبة بن نافع ، على ظهره الولد والبلد والرزق والامل وفى بطنه الآباء والاجداد والامجاد والذكرى، فجاهدت المستعمر بالسيف وصابرته بالعزم ورابطته بالقوة سبع سنين كوامل حتى كبكبته فى البحر الذى عاث فيه ، وردته الى البر الذى جاء منه٠٠ ثم وضع قائدها المختار يده فى يد الرائد الاول واخذ يرجع ما فقد ويصلح ما فسد ويعيد الى امته وجهها العربى الذى خبرته المحن وعبرته السنون متالقا كوجه الحق منطلقا كنور الربيع

ويبزغ هلال السنة الجديدة على اليمن السعيدة بالحرية والديموقراطية والاشتراكية بعد ماظلت الحقب الطوال معرة العالم المتحضر تجرى عليها حركات الدهر وهى ساكنة سكون الجماد لاتشعر بالفلك وهو دائر ، ولا بالعالم وهو سائر ، لان الائمة ــ اخذهم الله بما صنعوا ــ استعانوا على عزلها عن الوجود بالفقر والجهل والمرض والقات والترهات والشعوذة ، فما كان يظن ظان ان من الح عليه الخدر يفيق ؛ ولا ان من استبد به الضرر يطيق ، ولكن حدثت المعجزة وانشقت أرض صنعاء عن ابناء التبابعة والأذواء يتساءلون فى تباشير الفجر ، من الذى اطبق على نفوسنا الليل ، واطفا فى عيوننا النهار ، حتى حسبنا أن الظلام سرمد ؟ وكان الجواب دويا كنفخة الصور انبعث من مصر يقول :

ومن غير الائمة من آل حميد الدين يستطيع أن يجعل آية النهار عمياء ولسان الحق أبكم ؟

وتكاتفت الثورتان ثورة السلال وثورة عبد الناصر على أن تحطما السد الذى حجز الماء والنماء والتقدم عن التقدم اكثر من الف سنة ، فالقت الرجعية والاستعمار بجثتيهما النخرتين امام السد فلم تغنيا عنه شيئا ، واخذت الايدى اليمنية والمصرية تبنى ماقوض الدهر ، وتعوض ماخلف القهر ، فوضعت

# حديث الهجرة

## للمغفور له
## محمد مصطفى المراغى



حديث الهجرة حديث عجيب : رجل رحل من قرية الى قرية ، فرارا من الظلم ، ومعه رفيق له خرج خائفا يترقب ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، والى لأمام والخلف حذر أن يدركه الطالب ، لايحذر الموت ولا يخافه ، لكنه يحذر القضاء على حياة مولود ، هو امانة عنده ، فغير بهذه الرحلة مجرى التاريخ وبدل أرضا بارض وأديانا بدين ، ولغات بلغة وعادات بعادات ، ورجسا بطهر وفسادا بصلاح وفوضى بنظام ، ومحا دولا وأقام دولة .

**ذلك الرجل هو محمد ورفيقه هو ابو بكر وهذه الرحلة هى الهجرة التى يحتفل العالم الاسلامى اليوم بذكراها وهى التى أنقذت المولود وساقت الخلق الى الحق واعزت كلمة الله . اما المولود فهو القرآن دين الله وهديه ووحيه وشرعه والنور اذا أظلمت الدنيا ، والمرشد اذا عميت السبل وتشابهت الطرق ، فما اجل الهجرة واحقها بالاجلال والاعظام .**

كانت الهجرة حدا فاصلا بين الذلة والعزة والضعف والقوة ، خرج بها من دار فسد جوها بالشرك والضلال والجور والظلم والكفر والفجور الى دار وجد فيها بيئة صالحة للتعاليم الالهية والنظم القدسية ، فملأ جوها بالتوحيد والطهر ، وترتيل آيات الذكر واظهر فيها نور الوحى وجماله ، ووضح

---

لليمن لأول مرة فى تاريخها دستورا يقوم على اسس متينة من الحرية والديمقراطية سيدفعها الى المقام الاول ، ويرفعها الى المستوى الأعلى .

ثم يبزغ هلال العام الجديد على قصور الملوك والسلاطين فى المشرق والمغرب فيومئ اليهم بطرفيه النيرين الى طريق الجماعة وملتقى الوحدة ومجتمع القوة لتلاقى الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة القادم فى شهر اغسطس بالاسكندرية على يقين جازم من أن الثمانين مليونا من العرب الذين يعيشون بين المحيط والخليج هم امة واحدة لها كيان طبيعى تميز بوحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ والمجد والثقافة ، فمن حقها بوحدتها وقوتها أن تعود الى مكانها من صدر الوجود ، وان تشارك بامكانها فى سياسة الدنيا ، وان تقول للكتلتين الشيوعية والراسمالية ان الكتلة العربية الاسلامية هى التى تملك غرس الوئام فى النفوس وفرض السلام على العالم لانها تنزل فى خير مكان من الارض ، وتهيمن على الموارد الاولى للاقتصاد وتدين بالاديان السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق اعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ .

وعسى ان يكون هلال العام الهجرى القادم موعدا من الله لتصديق هذا القول وتحقيق هذا الامل .

**احمد حسن الزيات**

سياسة اصلاح الخلق وتقويم الأمم ، وارسى قواعد الأخلاق ووضع قواعد الحرية الصحيحة والمدنية الفاضلة التى يريدها الله .

وبهذا الوحى وهذه النظم ، وهذه السياسة الحكيمة اصبحت تلك القرية التى هاجر اليها عاصمة الدولة الاسلامية العظيمة ، وانضوت تحت رايتها أمم وممالك وعواصم كان أهلها من قبل أحق بالملك وأجدر بالسياسة واقدر على الحرب وأحق بالسيادة من هذه القرية واهلها ، وكانوا يأنفون سكناها ومخالطة اهلها — فما أجل الهجرة وأحقها بالاعظام والاجلال .

اعز من الأوطان والأهل والعشيرة ، ولذلك أوجب الله الهجرة على من لا يستطيع القيام بما فرضه عليه فقال **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا »** .

هذا العالم المملوء بالشرور والآثام والاعتداء والاجرام والذى تئن فيه الانسانية من العلم والمدنية والذى خلت افئدة أهله من الروح الالهى ومن تعاليم الأديان ، ونظم المسيحية والاسلام لا ينجيه الا



**المغفور له الامام محمد مصطفى المراغى**

من الحق أن نحتفل بالهجرة . لكن من الحق علينا أن نعتبر بها ونتعظ وأن نقتدى بسيرة صاحبها ونستلهم منها سر العظمة ، فهى تهدينا الى تقدير الخلق والى ما فيه من جمال وسمو روحى ، تفوق لذاته كل لذة مادية فى الدنيا ، والى أن الله سبحانه يمكن لمن آمن به وعمل صالحا فى الارض ويبدله من بعد خوفه أمنا مصداقا لقوله : **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا »** وترشدنا الى أن العاقبة للمتقين الصابرين على ما أصابهم والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، والذين يجعلون الله سبحانه أحب من النفس والولد والمال والأهل والعشيرة ، وتهدينا الى أن الجهر بالحق

الرجوع الى الله ، واحتقار المادية البعيدة عن النظم الالهية والخلاص من الشهوات الجامحة والمطامع الفاسدة ، وتذكر الدار الآخرة واعتقاد بالجزاء وبالجنات تجرى من تحتها الأنهار للأتقياء البررة ، وبالجحيم للأشقياء الفجرة ، **ولا ينجيه الا تذوق لذات روحية هى أسمى من اللذات الجسدية ولا ينجيه الا الاتصال بالله سبحانه على الطرق التى بينها للناس .**

**فليس لهذه الحالة علاج الا التدين وفى تعاليم القرآن شفاء للناس وفى نظمه من المرونة واليسر مايستطيع أن يحل مشاكل العالم ويزيل مساويه .**

**« محمد مصطفى المراغى »**

# من ذكريات المحرّم

**بقلم : محمد محمد المدني**





**شهر « المحرم » هو اول شهور العام الهجرى، وسمى بهذا الاسم لان العرب كانوا لايستحلون فيه القتال ، وقد اقر الاسلام ذلك ، فهو احد الاشهر الاربعة الحرم .**

**يقول الله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها اربعة حرم »**

**وقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع اذ يقول : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات: ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد هو رجب الذى بين جمادى وشعبان » وقد كرم الله هذه الشهور الاربعة ، اذ ميزها على ماسواها بان جعلها اشهر امن وسلام ، لا حرب فيها ولا قتال ، يستريح فيها الناس بعضهم من بعض ، ويفيئون الى ظل ظليل قديفضي بهم الى التفاهم بالتى هى احسن ، وينزع من قلوبهم الغل والسخائم، وانها لذريعة من ذرائع الخير والبر بالانسانية يهدى اليها الاسلام ، ويوحى بها الى ما يبتغيه للناس من** محبة وسلام ، وما يحرص عليه من حقن الدماء، ودرء الشر ، وفتح ابواب التفاهم .

ولو ان « **هيئة الامم** » اخذت بهذا النظام، فجعلت للسلام اشهرا توجبه فيها على المتحاربين ، لخففت الكوارث ، واحيت الآمال فى التفاهم ، واذاقت المتحاربين لذة الامن بعد الخوف ، فلعل نفوسا تكدرت ان تصفو ، ولعل قلوبا تحجرت ان تلين ، وكثيرا ما تنبعث الحروب فى طريقها عنادا واستكبارا ، حتى اذا هيئت للفريقين هدنة كانت هى الخاتمة لعهد الشقاء والبلاء ، والفاتحة لعهد المودة والصفاء .

**شهر المحرم يذكرنا بقرار اتخذه المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو اتخاذهم الهجرة مبدا لتاريخهم :**

فقد روى ان **عمر بن الخطاب** جمع وجوه الصحابة فقال : **ان الاموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت — اى غير محددبتاريخ ينضبط به ، فكيف التوصل الى مايضبط به ذلك ، ولقد رفع الى صك محله شعبان فلا ادرى اى شعبان هو ؟ الذى مضى او الذى نحن فيه ، اوالآتى !** ، فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم ، وقال قائل : اكتبوا على تاريخ الفرس ، ولكن عمر ابى ان يجعل تاريخ الاسلام على تاريخ امة الفرس او امة الروم واراد ان يجعله على مبدا لحادث اسلامى ، فاشار بعضهم بان يجعلوه من عند **وفاته** ، او من عند **مولده** ، **ولكن الامام عليا كرم الله وجهه اشار بان يجعلوه منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من ارض الشرك ، يعنى يوم**

هاجر من مكة الى المدينة ، فراقت الفكرة لدى عمر والمسلمين ، فاتفقوا على ان يكون المبدا من سنة الهجرة ، وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة فى شهر ربيع الاول ، فقال بأى شهر نبدا ، فتعددت الآراء ثم استقروا علىالأخذ برأى عثمان بن عفان رضي الله عنه بان يؤرخوا من المحرم أول السنة ، وهو شهر حرام ، وأول الشهور فى عدة العام ، وهو منصرف الناس من الحج ، وأول شهر يتفرغون فيه الى اعمالهم بعد اشتغالهم بالمناسك،وبذلك رجعوا ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة .

وفى هذا ابراز لشخصيةالأمة الاسلامية ، بجعل تاريخ خاص لها ، لا يستند الى تاريخ غيرها من الفرس والروم .

وتبدو الشخصية العربية ايضا فى اختيار شهور خاصة غير شهور التاريخ الشمسي التى يرتبط بها غير العرب ، وهىالشهور القمرية المعروفة التى يدور حسابها على دورت القمر الشهرية المعروفة ، وقد اقرهم الاسلام على ذلك ، وربط بهذه الشهور العربية القمرية مواسم العبادات واحكامها ، فكان ذلك اقرارا لشخصية الامةالعربية ، وصيانة لها من ان تتبع غيرها فتفنى فيها ، او تنماع عن نفسها .

***

وقد ظل التاريخ الهجرى ، وشهوره القمرية العربية خاصة للعرب والمسلمين الى اليوم ، وسيظل كذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، مؤذنا بان الاسلام والعروبةقومية ممتزجة مستقلة عن أمم الارض ، لها مكانتها فىالعالم ، ولها وضعها وكيانها الطبيعيان .

وشهر المحرم يذكرنا بحادث الهجرة حين استشرى خطر الباطل على الحق ، واصبح اهل الايمان والخير تاب توسحن او ادنى منكارثة كبرى توشك ان تقع فى مكة ، ولو وقعت يومئذ لانتصر الشيطان انتصارا مبينا ، ولاندكت الى الابدصروح الهدى والخير والصلاح وعاد العالم سيرته الأولى يتخبط فى دياجير الشرك والوثنية ، ويرزحتحت اثقال الظلم والعبودية :

خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بلده الذى نشا فيه ، وتربى بين ربوعه ، وأشرب منذ الصغر حبه ، قاصدا بلدا آخر ، لاقرارا بنفسه ، ولكن فرارا بدعوته ، والتماسا لارض صالحة لبذرته ، خرج بعد ان دبر الشيطان مكيدته التى احبطها الله ، وكان له صاحبان : على - بديله فى الفراش ، والموت يرصده - وأبو بكر رفيقه فى الغار ، والكفر ينشده ، فلم تشهد الأرض يومئذ ثلاثة ازكىنفوسا ، واطهر قلوبا ، واعظم فداء ، من هؤلاء الثلاثة ، ولم يسجل التاريخ شرفا خالدا كهذا الشرف العظيمبعظم غايته ، ونبل وسيلته .

ان الهجرة لاقوى دليل على صحة العزيمة ، وقوة الايمان ، فان المرء لا يترك ماهو عليه وما الف من حياة رتيبة ، ليضرب فى آفاق هى عليه غريبة ، الا وقد القى بين عينيه عزمة صادقة ، ونكب عن ذكر العواقب المثبطة جانبا ومن سنن الله فى خلقه انه اذا صحت العزيمة ، واتبعت السبل القويمة ، وكان المقصود هو الله جل جلاله ، فلا بد من التوفيق والنجاح .

لهذا نجحت هجرة النبى واصحابه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، لأنها كانت عزمة فى سبيل الله من قوم اولى ايمان واحسان ، فجعلها الله سببا فى القوة بعد الضعف ، والعزةبعد الذل ، والأمنة بعد الخوف ، واصبح هذا المهجر الذى آوى ونصر ، مطلع نور الاسلام ، ومبعث الهدى والرحمة للناس اجمعين ، ولم يمض امد طويل حتى اسلمت مكة قيادها لفتاها الأمين الذىخرج منها بالأمس خائفا يترقب ، وصدق الله وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده !

والهجرة شأن طبيعي منشئون الناس ، فالانسان فى خلقه وتكوينه ينتقل من طور الى طور وهو مازال جنينا فى بطن امه ، حتى اذا خرج الى ميدان الحياة اخذ فى التطور ايضا من الطفولة الى الصبا ثم الى الرجولة والكهولة ثم الى الشيخوخة والهرم ، وفى كل طور من هذه الأطوار يكون لحياته وصفاته طابع معين يختلف عما سواه، وتكون له اهداف متنوعة ، ومسالك متعددة . فليس التطور جسميا او حسيا فحسب، ولكنه تطور نفسي وعقلى ايضا .

ولقد كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه هجرة نفسية عقلية قبل أن تكون هجرة حسية او جغرافية .

ولقد هاجر سيدنا ابراهيم الخليل الى ربه حين هجر الأصنام وماعليه ابوه وقومه من عبادتها

واعلنهم انه سيعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويدعو ربه ، وحين تدرج بهم في اسلوب منطقي طبيعي ، فأراهم انه يلتمس الاله الجدير بأن يعبده وحده في النجم الذي بدا ، ثم في القمر الذي طلع، ثم في الشمس البازغة ، فلما راى كلا منهما يأفل ويغيب اخذ من ذلك حجة الزمهم بها ، وعرفهم انها غير صالحة لان تؤله وتعبد« **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه** » .

وهاجر ابراهيم بأم العرب هاجر ، الى مكان البيت الحرام الذي بواه الله اياه ، وكلفه هو وابنه اسماعيل برفع قواعده، فكان هو الذي سن بأمر الله هجرة النفس وهجرة الحس .

**ويقول رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » « والهاجر من هجر ما نهى الله عنه »** فينبئنا بأن هجرة التحرر من الفساد والذل والعصيان باقية الى يوم القيامة وان على المؤمن أن يكون بها مهاجرا دائم المهاجرة ، فلا يركن الى باطل ، ولا يستنيم الى امل من آمال الدنيا في ظل من الذل او الضعف او التراخي عن الجهاد في سبيل الله ، بل يؤثر اعتناق الحق والمثل ومباديء الاصلاح والخير ، مهما ارجف الباطل بخيله ورجله ، ومهما ابرقت مثل السوء وارعدت ، ومهما استطال عتو الفساد وكثر الخبيث واعجب الناس ، فانه : **« لايستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث » « وما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطب » « ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم »** .

***

فهذه هي الهجرة الباقية الخالدة ، ولن يزال في الأمة من يقوم بها في وجه الفساد والباطل الى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

● ويذكرنا المحرم ايضا بحادث جلل ، وخطب عظيم اصاب الاسلام في عهده الاول ، وثلم فيه ثلمة لم يزل اهله يئنون منها انين الثكالى الى اليوم **ذلك هو حادث مقتل الامام الشهيد ابن فاطمة البتول ، ابي عبد الله الحسين ، عليه وعلى ابيه وجده وآله الصلاة والسلام .**

**ان الحسين الشهيد** هو مثل المجاهدين في سبيل الله : راى الحق مهضوما مهيض الجناح ، قد احاط به الباطل فلم يترك له سبيلا ، وراى نفسه — وهو فرع تلك الدوحة الشريفة ، وابن ذلك الامام الغضنفر الذي لم يطاطيء راسه قط من خوف ولا مذلة — راى نفسه مطالبا بأن يكشف هذه الغمم ، ويزيل تلك الغياهب ، وكأن صوتا من أعماق قلبه يناديه : **انت لها يا بن بنت رسول الله ، فقد كشف الله بجدك الظلمات ، واحق الحق وابطل الباطل حتى جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله افواجا ، وابوك هو سيف الله البتار الذي لم يستقر في غمده حتى ذلت رقاب المشركين ، وخسئت عيون المنافقين والمفسدين ، فقم — ابا عبد الله — فكافح وناضل كما كان ابوك وجدك من قبلك ، وذد عن الحياض ، وادفع الظالمين ، وطهر الارض من اهل البغي والجور والفسوق ، ان آلك واصحابك قد سيموا خطة الخسف ، والبسوا ثياب الذل ، وان النساء والاطفال واليتامى والأيامى قد احيط بهم ، فهم لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فمن يكشف الغمة ان لم يكشفها ابن علي وفاطمة ؟**

كأنما كان الحسين يسمع صوتا من اعماق قلبه يناديه بهذا النداء المؤثر ، ويلح عليه في ليله ونهاره ، وحين ينام وحين يقوم ، فلم يجد بدا من تلبية النداء ، والصراخ للصارخين الفزعين ، ولم يرده عن جهاده في سبيل الله ان اعداءه فجرة لا يتقون الله ، ولا يرقبون في آل رسوله الا ولا ذمة ذلك بأنه قائد مجاهد يقوم بأمر الله ، سواء عليه ان ينصر او يخذل ، فكلاهما له شرف ، « **هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين** » ، وانما عليه ان يهاجر من الركون الى حالة الفساد والاثم ، الى حالة الصلاح والطهر ، فاما ادرك امنيته حيا ، واما ادركها عند الله في دار القرار ، فاذا كان قد استشهد في سبيل الله والحق ، فلقد باء قاتلوه بلعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، **وفاز هو باعظم الدرجات مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .**

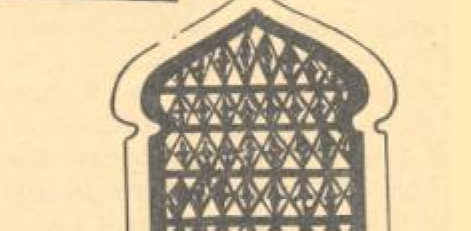
***

**هذه بعض الذكريات عن شهر المحرم ، فلنذكرها ولنعتز بها ولنفقه مالها من مغزى في التربية والتهذيب ، والتوعية والترفيع : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .**

**محمد محمد المدني**

# التأريخ بالهجرة





بقلم الدكتور مهدى علام

شعر الناس ، أفرادا وجماعات ، منذ أقدم العصور ، بحاجتهم الى التأريخ ، أى الى نسبة الأحداث والأعمال الى نقطة زمنية يحسبون منها مرور الزمن ، بمقياس يصطلحون عليه كاليوم أو الاسبوع او الشهر أو العام . وكانت ظاهرة النهار والليل أسبق الظواهر التى استرعت نظر الانسان الى أول وحدة زمنية دقيقة هي اليوم . كذلك كانت المجتمعات الاولى فى تاريخ الانسانية تهتم اهتماما خاصا بظهور القمر ، وتتبع نموه منذ يبدو هلالا ، الى أن يستدير بدرا ، ثم ينقص فى محاقه الى أن يختفى . فكانت هذه الظاهرة أساسا لوحدة زمنية أخرى هي الشهر ، مما جعل الشهر القمرى من أسبق الوسائل التى اتخذها الانسان لعد أيامه . وتبعا لذلك كان السبق فى التقديم القمرى . ومن الدلالات اللغوية على ذلك الاشتراك فى الاشتقاق بين الألفاظ التى تدل على الهلال أو القمر والألفاظ التى تدل على الشهر ، فى كثير من اللغات . على أنه جاء بعد ذلك عهد على الانسان تنبه فيه للدورة الشمسية ، واتخذ الشهر الشمسى والسنة الشمسية أساسا لحساب الزمن .

وفى كلتا الحالتين ، حالة الحساب بالتوقيت القمرى ، وحالة الحساب بالتوقيت الشمسى ، لم يكن ثمة بد من نقطة بدء للتاريخ . وفى العهود السحيقة فى تاريخ البشرية ، قبل اختراع الكتابة ، لم تكن الذاكرة تعى أكثر من بضع سنوات . ولهذا كانت الحقبة التى يحتفظ الناس بها فى ذاكرتهم حقبة قصيرة ، ثم يتركونها وينتقلون الى حقبة أخرى يبدأونها بحادثة هامة فى حياتهم ، ويظلون يحتفظون بسنواتها حتى يحدث حادث عظيم يفرض نفسه على ذاكرتهم ، فيبدأون تأريخهم منه لحقبة جديدة ، وهكذا .

وهذه الأحداث التى كان الناس قديما يلجأون اليها لتأريخهم كانت تختار فى العادة من بين الحوادث الجسام التى تغير مجرى الحياة فى المجتمع ، أو من النوع الذى يخلف ذكرى لا تنسى . فالفيضانات المجتاحة ، والزلازل والبراكين المفزعة ، والحروب المدمرة ، وتعاقب الملوك على العرش — كل هذه أمثلة

مما كان يتخذه الانسان بدءا للتاريخ . ونحن مازلنا نجد صورة مصغرة لهذا بين بعض معاصرينا ممن يؤرخون بمضى كذا من الزمن على ثورة عرابى ، أو على العـام الذى حجوا فيه ، أو على السنة التى تزوج فيها فلان من أسرتهم .

وفى طفولة البشرية لم يكن الانسـان يهتم ، أو يستطيع أن يهتم ، بالدقة فى حساب التاريخ ، أو بربطه ربطا دقيقا بنقطة زمنية ثابتة . بل كانت الأمور تسير سيرا تقريبيا . ومن المعروف ان أول من ابتكر نظاما للتاريخ المنظم المتواصل هو أمين مكتبة الاسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، حتى انه اكتسب ، بسبب ذلك ، لقبـا هو « أبو التاريخ » .

ومن أمثلة النظم التى كانت متبعة فى التاريخ ، النظام الأولمبى فى اليونان ، فقد كانت الألعـاب الأولمبية تقام مرة كل أربع سنوات ، فكانوا يؤرخون أحداثهم بأن يقـولوا مثلا : حدث هذا فى السنة الثانية من الأولمبية الرابعة ، وهكذا .

ومن هذه النظم النظام الرومـانى ، وكان هذا النظام يتخذ تأسيس مدينـة روما مبدأ للتاريخ تنسب اليه الحوادث وتعاقب القناصل والأباطرة .

ثم كان هناك نظام التاريخ الفارسى الذى كان يبدأ باعتلاء الملك يزدجرد الثالث للعرش يوم ١٦ يونيه سنة ٦٣٢ ميـلادية . وهو نظام شبيه بالنظام الصينى القديم الذى كان يبدأ من سنة ١٦٣ ق.م. ويعد السنوات منسوبة الى اعتـلاء كل امبراطور للعرش .

وكان العرب قبل الاسلام يسيرون كغيرهم من **الأمم المتبدية ، فيؤرخون بالأحداث العظيمة التى تمر بهم وتؤثر فى حياتهم ، كأيام العرب المشهورة فى حروبهم ، والتى من أشهرها عام الفيل الذى ظلوا يؤرخون به حتى ظهور الاسـلام ، وكذلك حرب الفجار .**

**وبعد ظهور الاسـلام اتخذ المسلمون عدة نقط زمنية بدءا لتاريخهم ، فتارة كانوا يقولون : حدث كذا قبل البعثة بسنة أو بسنتين ، أو بعدها بكذا سنة ، وأحيانا كانوا يؤرخون بالغزوات ، فيقولون : فى عام الخندق ، أو بعد بدر بعامين ، وهلم جرا . وكان مثل هذا النظام كافيا للتحديد الزمنى الذى كانت تتطلبه حـالة المجتمع يومئذ . فلما اتسعت رقعت الدولة الاسلامية ، وتشعبت فروعها ، وتعدد نشاطها ، كان لابد لهـا من نظام ثابت للتاريخ ، ينسـب الى نقطة زمنية ثابتة ،** وتتبعه الدولة فى جميع أنحائهـا ، فان من دواعى الخلط ، وسوء النظام ، أن يكتب الخليفة مثلا الى وال فى الشام كتابا يؤرخه فى السنة السابعة والعشرين من البعثة النبوية ، فيرد عليه الوالى بكتاب يؤرخه بالسنة كذا من بدر .

وأول من فكر فى اتخاذ نظام ثابت للتاريخ فى الاسلام هو **سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ،** وكان ذلك جـزءا من تنظيماته العـامة للحكومة الاسلامية . ففى السنة الثالثة من خلافته ، أى فى السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية ، **رفع اليه صك مؤقت بشعبان . فقال : أى شعبان هو ؟ الذى مضى ، أو الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ ثم جمع أصحابه وقال لهم : ضعوا شيئا للناس يعرفونه . فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم . وقال آخر : اكتبوا بتاريـخ الفرس ، كلمـا قام ملك طرح ما كان قبله ( أى ترك النقطة الزمنية التى كان يؤرخ بها ، وبدأ نقطة زمنية أخرى من تاريخ اعتلائه هو للعرش ) .**

وتناقش القوم فى الأمر . وكان أمامهم من أحداث الاسلام مايغنيهم عن اصطناع النظم الأجنبية : كان أمامهم لنقطة البدء بالتاريخ مولد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما كان أمامهم يوم وفاته ، وكان أمامهم كذلك يوم بعثته بدين الاسلام . ولكن رأيهم استقر على ان يتخذوا لتاريخهم يوم الهجرة من مكة الى المدينة ، وهو اختيار أوحته البصيرة النافذة ، والتقدير السـليم لحوادث التاريخ . فلقد كانت الهجرة هى أعظم حدث فى تاريخ الاسلام ، لأنها الحادثة التى جمعت أنبل الصفات التى دعا اليها الدين ، كما تمثلت فيها معجزة الاسلام الكبرى : فالهجرة هى نقطة التحول فى ذيوع الاسـلام ،

وخروجه من شعاب مكة الى ارجاء الجزيرة العربية ، ثم الى سائر أجزاء المعمورة ٠

**والذين قرروا اختيار هذا اليوم مبدا للتاريخ هم الذين شاهدوه وشاركوا فى احداثه : هم المهاجرون والأنصار الذين تجلى فيهم ابان الهجرة خير ما تتحلى به النفوس البشرية ٠ تجلى فيهم الافتداء حين تحدى المهاجرين سطوة قريش وبطشها وتنكيلها بهم لمغادرتهم مكة ٠ وتجلت فيهم التضحية المنقطعة النظير حين تخلوا عن أهلهم وديارهم وأموالهم فى سبيل الله ٠ وتجلى فى ذلك اليوم الاخاء الصادق حين استقبل الأنصار اخوانهم المهاجرين استقبال الأخ لأخيه ، وقاسموهم كل ما ملكت أيديهم ٠**

فهؤلاء الانصار هم الذين تهافتوا على الرسول الكريم يوم قدومه للمدينة ، يقول له كل بيت فيهم : أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ٠ فلما عز عليهم جميعا أن يقاسموا النبى بيوتهم ، قاسموها اصحابه المهاجرين ٠

ومن أروع مايدل على ماكان يفيض به جو الهجرة من الكرم والسماحة أن التاريخ لم يذكر عن هؤلاء الذين تركوا مكة ولجأوا الى المدينة أنهم «لاجئون» ٠ لقد كرمهم الله بما كرمهم به الانصار بتسميتهم بالمهاجرين ٠ وكرم الله تعالى هؤلاء وأولئك بما انزله فيهم من القرآن الكريم : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، رضى الله عنهم ، رضوا عنه ، واعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، ذلك هو الفوز العظيم » ٠

**اما معجزة الاسلام الكبرى التى تمثلت فى حادث الهجرة ، فهى انه فى تلك الساعة التى كان فيها مضطهدا طريدا من وطنه ، حقق أعظم انتصار لرسالته ٠ وكذلك كانت قوة الاسلام ، يرفع علم** انتصاره حتى يوم ضعفه ، وتعلو كلمته ، حين تعظم محنته ، ويقبل عليه الناس حتى ابان اضطهاده ٠ ومن هذه القوة الروحية العظيمة استمد سلطته السياسية ، ونشر لواء العدل فى العالم ٠

**وبعد فقد كانت الهجرة فى اليوم الثامن من ربيع الأول ، الموافق ليوم ٢٠ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ٠ وبدأ التاريخ بها فى اليوم السادس عشر من شهر يوليه سنة ٦٣٩ ميلادية ٠**

**ومجلة « الرسالة » اذ تخصص عددا لهذا اليوم العظيم ٠ تحمل الى قرائها دراسات متنوعة عن هذه الذكرى التى تثير فى نفوسنا تلك العزة التى استمسك بها اسلافنا الكرام ، فى نفوسهم الأبية ، وقلوبهم الصفية ، وعقولهم الرشيدة ، واحكامهم السديدة ، لنستلهم من ذلك كله منهجا يهدينا الى سواء السبيل ٠**

**دكتور مهدى علام**



# دين الوفاء





للدكتور محمد احمد الغمراوى

الاسلام دين العزة ودين القوة ، وهو ايضا دين الوفاء . وقد علم الله كم تحمل العزة والقوة اهلها على الغدر والنكث وان الوفاء لا بد منه لاستقامة الامور بين الافراد والجماعات ثم بين الامم ، فاكد امره على الناس كل التوكيد فيما شرع لهم من الدين الخاتم الكامل ، دين الاسلام . وانك لترى في القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذلك العجب العجاب .

والناظر في الايات الآمرة بالوفاء في القرآن يجد منها العام ومنها الخاص . فمن العام الذى يصح ان يشمل كل وفاء بين الافراد والجماعات ، مسلمة وغير مسلمة ، قوله تعالى من سورة الاسراء .

واوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا .

وقوله في مفتتح سورة المائدة :

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود

والاسراء اول سورة مكية امر فيها بالوفاء ، والمائدة من اواخر السور المدنية ، لم ينزل بعدها الا سورتا التوبة والنصر . فكان اية الاسراء في عمومها تاصيل لمبدا الوفاء بالعهد ، وتمهيد للتفصيل الذى نزل بعد ذلك في ايجاب الوفاء وتوكيده اثناء العهدين المكى والمدنى ، وكان اية المائدة في عمومها ولتأخر نزولها توكيد واجمال لما نزل من تفصيل .

وفي السور المكية بعد سورة الاسراء اربع سور متفرقة نزلت بتوكيد الوفاء هي بترتيب نزولها : الانعام والنحل والمؤمنون والمعارج .

ففي سورة الانعام جاء الامر بالوفاء بين الوصايا العشر التي وصى الله بها عباده في الايات الثلاث الاولى من ربع ( قل تعالوا ) اذ يقول سبحانه في ختام الاية الثانية منها :

( وبعهد الله اوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ) .

وهو كما ترى امر عام كالامر في اية الاسراء الا انه ازداد توكيدا : اولا بالصيغة البيانية التي تفيد التوكيد ، صيغة تقديم المتعلق على المتعلق به : ( وبعهد الله اوفوا ) . وثانيا بنسبة العهد هنا الى الله سبحانه وذلك لاول مرة في ايات الوفاء حسب ترتيب نزولها ، فكان ذلك ايذانا بان العهد الذى يقع في ظل الاسلام انما هو عهد الله . وفي هذا من توكيد الوفاء ما فيه . والى مظهرى التوكيد هذين يمكن ان يضم ثالث هو مجيء الامر بالوفاء قبل صيغة التوصية مباشرة ، كانما اريد هو بها بصفة خاصة ، مع ان التوصية تشمل طبعا ما ورد في نفس الاية متعلقا بالاحسان في مال اليتيم وبالاقساط في الكيل والميزان .

اما في سورة « المؤمنون » فقد جعل الله الوفاء من صفات المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح . فقد افتتحت السورة بقوله تعالى :

( قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون .. )

الى صفات ذكرت في سبع ايات سادستها قوله تعالى : ( والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ) . وقد كررت الاية نفسها في سورة المعارج وصفا للمصلين ( الذين هم على صلاتهم دائمون ) الى اوصاف اخرى صانهم الله بمجموعها من سبة هي من طبيعة الانسان ذكرها سبحانه في قوله من نفس السورة : ( ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا. الا المصلين ) وورود الوفاء في السورتين وصفا للمؤمن المصلى الخاشع في صلاته الدائم عليها يجعل الوفاء في الواقع صفة لازمة للمسلم اذ الصلاة اول اركان الاسلام بعد الشهادتين . ورعاية الامانات هي صورة من اهم صور الوفاء زيدت هنا على ما ذكر في آيتي الاسراء والانعام.

لكن الذى يستثير العجب ويدعو الى التامل العميق هي الايات التي تحض على الوفاء في سورة النحل :

وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ماتفعلون(٩١)

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة ، انما يبلوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢) .

ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم (٩٤) .

ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ، ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون (٩٥) .

وليس الذى يستثير العجب ويستدعي مزيد التامل في هذه الآيات الكريمة هو ما فيه امر الوفاء بالعهد والايمان من توكيد لا يحتاج الى توضيح لم ليس عليه من مزيد ، فهذا قد مهد له من حيث عموم الامر وتوكيده في سورتي الاسراء والانعام السابقتين في النزول على سورة النحل . لكن موضع التعجب والتامل هو ان هذه الآيات الكريمة تبدو كانها نزلت في الوفاء بالعهود والايمان بين الامم مع انها نزلت في العهد المكي قبل ان يكون للاسلام دولة تتعامل مع غيرها من الجماعات والدول ! فهل كانت ارهاصا وبشرى بدولة عزيزة تكون للمسلمين يخشى عليهم فيها ان تغريهم العزة والقوة بنكث العهود التي قد تكون بينهم وبين مخالفيهم من الافراد والجماعات غير المسلمة فجاءت الآيات تحذر وتنهى عن النكث ، وتحض وتحث على الوفاء ولو لغير المسلمين ؟ انها لكذلك فيما يبدو ، لكن لا بد لنزولها من سبب .

يقول ابن كثير في تفسيره اولا : ان الايمان المذكورة في هذه الآيات هي ( الداخلة في العهود والمواثيق لا الايمان التي هي واردة على حث او منع ) وهذا يؤيد ولا يضاد مثار التعجب والتامل في الآيات ، ويقول ثانيا ، نقلا عن الطبرى ، ما يفيد انها نزلت في تحذير المسلمين الذين بايعوا النبي في مكة على الاسلام ان تحملهم ( قلة محمد وكثرة المشركين ) على نقض ما بايعوا النبي عليه . ومهما يكن من خصوصية سبب النزول فالقاعدة الاصولية تقول ان العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب . فالآيات الكريمة تشريع دائم في الاسلام للناس كافة والجماعات عامة ، ان يوفوا بالعهود ولا يتخذوا من الايمان والمواثيق وسيلة للخديعة والمكر حتى اذا وجدوا فرصة غدروا ، او امة في معاهدة اقوى من امة معاهدة نقضوا عهد الاضعف ليتحازوا الى الاقوى .

وهذا الذي حذر الله منه في تلك الآيات الكريمة هو بالضبط ما ارتكبه في الحرب الماضية والتي قبلها امم تعد في قمم الحضارة في العصر الحديث . ففي الحرب الكبرى الاولى عاهدت انكلترا الشريف حسينا ان تجمع الاقطار العربية الشرقية في مملكة يكون هو ملكها ان هو ساعدها على الاتراك اعدائها . فلما ساعدها وانتصرت بمساعدته على الدولة العثمانية وخرجت من الحرب ظافرة غدرت به، حتى مات في المنفى وغدرت بالعرب في سوريا التي اعطتها لحليفتها فرنسا ، في فلسطين التي جعلت منها وطنا قوميا لليهود على أن تصان حقوق اهلها المدنية والدينية فيما زعم وعد بلفور واحتلت هي فلسطين لتنفذ هذا الشرط الاعرج بالتمكين لليهود فيها حتى اذا خرجت ظافرة في الحرب الثانية تخلت عن فلسطين لليهود بعد ان كانت جردت اهلها من السلاح وأمدت به اليهود ليشردوا شعب فلسطين .

وفي الحرب الثانية خرق هتلر حياد بلجيكا كما خرقه وليلم الثاني في الحرب الاولى ليصل الى فرنسا من اقرب طريق ، وغدر هتلر بحليفته روسيا وهاجمها على غرة بعد ان مكنه حلفها من الانتصار الشامل على بولندا اولا ثم على فرنسا وحلفائها . وهاجمت اليابان امريكا في ميناء بيرل من غير انذار سابق ، واغرقت اسطولها ، ومكنها ذلك من السيادة على المحيط الهادى الى حين .

لكن لله سبحانه سنة في اهل الغدر تقضي بان تكون الدائرة عليهم ، ذكرها سبحانه في سورة الفتح المدنية : تلك السنة هي : ( من نكث فانما ينكث على نفسه ) . وطبقا لهذه السنة العجيبة انهزمت المانيا في الحرب الاولى الكبرى بعد انتصاراتها العجيبة ، وانهزم هتلر في الحرب الكبرى الثانية بعد انتصاراته المذهلة ، وانهزمت اليابان بعد انتصاراتها الهائلة ، وذهبت امبراطورية انكلترا التي كانت لا تغرب عنها الشمس بعد ان خرجت انكلترا من الحرب منهكة وان كانت في الظاهر ظافرة ، وستنهزم ان شاء الله اسرائيل وتخرج من فلسطين مقهورة مدحورة طبقا لنفس السنة الالهية التي لا نقض لها ولا مرد : سنة : ( من نكث فانما ينكث على نفسه )

هذه السنة العجيبة النافذة جاءت متممة لسنة مثلها سبق ذكرها ، في سورة فاطر المكية في قوله سبحانه ( ولا يحيق المكر السيء الا باهله ) . ثم هي بعض آية نصها : ( ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ) . والبيعة المشار اليها هي بيعة الرضوان في في غزوة الحديبية . فالآية نزلت لسبب خاص لكن منطقها عام، والعبرة كما قلنا من قبل بعموم النص لا بخصوص السبب .

وسورة الفتح التي نزلت فيها الآية هي خامس سورة مدنية ذكر فيها الوفاء ، والسور الاربع قبلها هي البقرة والانفال والنساء والرعد . فاما البقرة والرعد فالذكر فيهما من قبيل الذكر في « المؤمنون » والمعارج : مدح للموفين ووعد لهم بالثواب الجزيل ، فلم يبق من السور المدنية التي ذكرت الوفاء وحضت عليه الا الانفال والنساء والتوبة .

والانفال هي ثانية السور المدنية اذ نزلت بعد البقرة . وفيها حرم الله اخذ المعاهد على غرة بقوله سبحانه خطابا لنبيه :

( واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين ) . لكن العجب العاجب في توكيد الوفاء بالعهد هو فيها قول الله سبحانه : ( والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ) . فالمسلم في الارض الكافر اهلها له على المسلمين ان ينصروه ولو بالحرب اذا اعتدى عليه في دينه ، الا ان يكون المعتدى بينه وبين المسلمين ميثاق وعهد. وهذا من اعجب توكيد الاسلام للوفاء بالعهد .

وفي سورة النساء اشارة واضحة الى المبادرة بقضاء حق اهل الميثاق والعهد حتى قبل قضاء حق مثله لاهل الايمان

وذلك في حكم المؤمن الذى يقتل مؤمنا خطا . تامل معي قوله تعالى : ( وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا ، ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة .. ) الآية (٩٢) وواضح ان هذه الاحكام تشمل الاحوال التى يمكن ان يكون عليها قوم المؤمن المقتول خطا . فهو اما ان يكون من بين المسلمين وحكمه الحكم الاول الوارد في الآية بدليل قوله ( الا ان يصدقوا ) ، واما ان يكون من قوم غير مسلمين ، وهؤلاء اما ان يكونوا اعداء فلا تدفع لهم الدية حتى لا يتقووا بها على قتال المسلمين ، وتقتصر الكفارة على تحرير رقبة مؤمنة ، واما ان يكونوا بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق فيبادر الى دفع الدية الى اهل المقتول ، ثم تستكمل الكفارة بتحرير رقبة مؤمنة . والاشارة التى هى محل الاستدلال هي في تقديم دفع الدية الى اهل القتيل على تحرير الرقبة اذا كان قومه اهل عهد غير مسلمين وتقديم تحرير الرقبة على دفع الدية او التسوية بينهما اذا كان القتيل من بين المسلمين .

وفي السورة ما هو اصرح من هذا في رعاية أهل الميثاق وذلك في حالة استحق فيها اهل النفاق القتل واستثنى منهم من كانوا من قوم معاهدين بقوله تعالى ( الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ) الآية (٩٠) والتين قبلها .

ويصل احترام العهود في الاسلام الى غايته في سورة التوبة او براءة التى برئ الله ورسوله فيها من المشركين ، وامهلهم اربعة اشهر يسيحون فيها في الارض ثم يقتلون بعدها اينما وجدوا : ( الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ) فمن التقوى التى يحب الله اهلها الوفاء بالعهد لمن يوفي به ولو كان مشركا . ومثلها قوله تعالى بعد آيتين من الآية السابقة : ( كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين ) . فالسورة نزلت لاجتثاث الشرك والبراءة من اهله فلا يكون بعد نزولها بين مشرك ومسلم عهد ولا عقد جديد ، وانما يوفي لاهل العهود التى كانت قبل نزولها بما عوهدوا عليه الى اخر مدته اذا كانوا هم وفوا به كاملا ، ولم يعينوا على المسلمين عدوا . وهذا كان آخر طور من اطوار توكيد الوفاء بالعهود في الاسلام .

اما السنة المطهرة فهي مبينة لاحكام الكتاب مفصلة لمجملها فلا يوجد حكم في الكتاب ليس له في السنة ما يناظره ان كان مفصلا ، او ما يفصله ان كان مجملا ، كما نبه الى ذلك الامام الشافعى في الرسالة التى اسس فيها اصول الفقه . ولكن الآيات السالفة التى تثبت أن الاسلام حقا دين الوفاء هى من الوضوح بحيث لا تحتاج الى تعزيز من السنة ، على كثرة النصوص المعززة فيها . اللهم الا مثلا من عهد النبى ومثلين من بعده تبين كيف كان النبى والمسلمون ينفذون تلك الاحكام حتى في اشد الظروف .

فمن اوضح الامثلة في عهد النبى تسليم ابى جندل بن سهيل ابن عمرو لابيه في غزوة الحديبية تنفيذا لشرط كان النبى صلى الله عليه وسلم وافق عليه وان لم تكن معاهدة الصلح بينه وبين قريش قد امضيت . ولما استغاث ابو جندل بالمسلمين صارخا بأعلى صوته فيما نقل ابن كثير ( يا معشر المسلمين اأرد الى اهل الشرك يفتنوني في ديني — وكان موقفا يبعث من شدته ان زل فيه عمر او كاد — قال صلى الله عليه وسلم ( يا ابا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فاعطيناهم على ذلك واعطونا عليه عهدا ، وانا لن نغدر بهم ) .

ومثل ابى جندل ابو بصير لجا الى المدينة بعد أن رجع اليها النبى من الحديبية ، وارسلت قريش في طلبه رجلين فدفعه النبى اليهما وفاء بالعهد ونزولا على شرطه . وامكن الله ابا بصير من احد الرجلين فقتله بسيف الرجل ، وفر الاخر الى المدينة حتى دخل المسجد يعدو ، وجاء ابو بصير يظن ان الله قد اوفى ذمة رسوله ونجاه منهم . لكن الرسول صلوات الله عليه قال ما دل على انه يرى أن الشرط ما زال قائما ، فخرج ابو بصير الى سيف البحر ، وتفلت ابو جندل فلحق به ، ولحق بهما كل مسلم تفلت من قريش حتى اجتمعت منهم عصبة جعلت تعترض كل عير لقريش الى الشام حتى لم تجد قريش بدا من ان ترسل الى الرسول ترجو منه ان يؤوى اليها ابا بصير ومن معه فلا يقطعوا على غيرها الطريق . وحقق الله بذلك قول نبيه حين قال لابي جندل سيجعل الله لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

هذا مثل من وفاء الرسول . لكن الرسول هو الرسول . فلم يبق الا التمثيل لوفاء المسلمين بعد الرسول . وسنكتفي من ذلك بالاشارة الى مثلين احدهما من تاريخ ابن الاثير في حرب مسيلمة بعد ان قتله الله واظهر المسلمين بقيادة خالد على بنى حنيفة . قال مجاعة بن مرارة ، وكان اسيرا في يد خالد ، هلم الى الصلح فان الحصون لا تزال مملوءة بالرجال . فقرض عليه خالد ما فرض ، فقال استشير من في الحصون . ولم يكن فيها الا الضعاف والنساء فالبس من استطاع الحديد وأمر النساء ان ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون فاوهم خالدا بذلك ان الحصون حقا فيها الرجال . وكانت الحرب قد انهكت المسلمين فآثر خالد السلامة لمن بقي وخفف الشروط على مجاعة . فلما فتحت الحصون ورأى ان ليس فيها الا النساء والصبيان والضعفاء قال خالد لمجاعة خدعتني ويحك ! قال هم قومي ولم استطع الا ما صنعت . ( ووصل كتاب ابى بكر الى خالد ان يقتل كل محتلم ، وكان قد صالحهم فوفي لهم ولم يغدر ) كما يقول ابن الاثير .

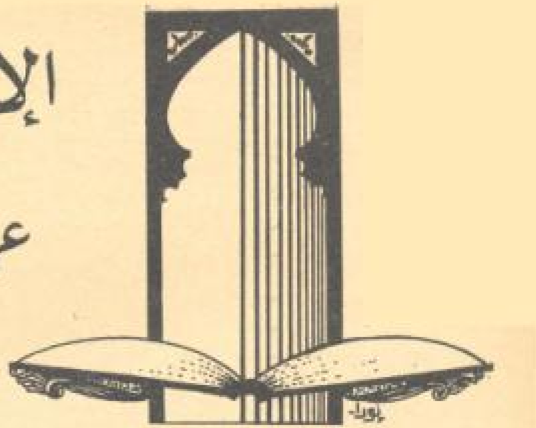
والمثل الثانى من ابن كثير في تفسيره ايات سورة النحل السابق ذكرها اذ اشار الى قصة لمعاوية لما كان بينه وبين ملك الروم امد ( فسار معاوية في آخر الاجل حتى اذا انقضى وهو قريب من ديارهم اغار عليهم وهم غارون لا يشعرون . فقال له عمرو بن عتبة : الله اكبر يا معاوية ! وفاء لا غدر ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان بينه وبين قوم اجل فلا يحلن عقدة حتى ينقضي امدها » فرجع معاوية بالجيش ) كما يروى ابن كثير .

فما احوج اهل المدنية الحاضرة الى الاسلام يتلقون درسه في الوفاء . وما احوج المسلمين الى العمل بدينهم والوفاء فيما بينهم حتى ينصرهم الله على الاعداء .

دكتور محمد احمد الغمراوى

# الإسلام والروم في عهد الرسول عليه السلام

بقلم الدكتور طه الحاجري



الجهاد عنصر من العناصر الاصيلة في الحياة الاسلامية : دعا اليه القرآن ، وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وضرب فيه أبلغ المثل ، وعني به الفقهاء والمشرعون ، تقريرا لاحكامه، وبيانا لآدابه، واستطاع به المسلمون أن يحموا حماهم، ويحفظوا ملامح شخصيتهم ، ويدفعوا عن دينهم وكيانهم كل متهجم عليه ، طامع فيه .

والجهاد في أصل معناه هو بذل الجهد في تحقيق المبدأ ، والتوصل الى الغاية ، ومقاومة العوامل المناهضة او المعوقة . ولكن الجهاد في الاسلام هو الجهاد في سبيل الله ، وسبيل الله هو دينه الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، لترسم للانسانية مثلها الاعلى ، وهو جهاد بالنفس وجهاد بالمال ، كما جاء في غير اية من آيات الكتاب الكريم :

**« يايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .**

**« الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون » .**

**« ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ».**

ومن هذه الآيات نرى أن الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله قرين الايمان .

ومنذ تكونت الدولة الاسلامية في المدينة كان الجهاد هو السمة البارزة في التاريخ الاسلامي ، فهو — في حقيقته — مظهر من مظاهر المقاومة التي اخذ الدين الجديد يتذرع بها ازاء العناصر القديمة التي كانت ما تفتأ تهدده وتعدو عليه ، وتصطنع الوسائل المختلفة لتنتهك منه وتحد من سلطانه ، اذ كانت ترى فيه خطرا ماحقا يتهددها ويوشك أن يقضي عليها ، فكان لا بد له ازاء هذه القوى المتوثبة عليه والمتربصة به أن يحمي نفسه ، بفرض الجهاد ، ومواجهة خصومه بالأسلوب الذي تواجهه به ، والذي لم تستطع الانسانية أن تتجرد منه ، والذي ما كان يجوز للاسلام أن يغفله ، وان يمضي في دعوته دون أن يحميها من فتكات هذا النظام الذي يتهددها ويكشر لها عن انيابه ، الا أن يتعرض للانهيار لاول وهلة .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الحرب في الاسلام، ومناقشة دعوى الذين يتجنون على الاسلام ، فيزعمون انه دين دعوى ، قام بالسيف وانتشر بالرعب ومكن له بالقوة ، ويذهب بعضهم الى حد المناظرة بين المسلمين وبين قبائل التتر والهون ، فتلك دعوى من لم يعرف روح الاسلام في التشريع ، ومنهجه في الاصلاح ، وأسلوبه في أخذ الانسانية بأسباب التكمل .

لا نريد أن نعرض هنا لشيء من ذلك ، فليس بنا الا أن نرسم بعض صور الجهاد في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بحيث تتبين من خلالها الروح السائدة فيه ، والاسباب الداعية اليه ، والاهداف التي يتجه اليها .

والعناصر القديمة التي كانت تناوىء الاسلام ، وتتهجم عليه، وتتربص به الدوائر ، والتي كان على الاسلام أن يقاومها ويدفع عدوانها بالوسائل المختلفة : معنوية ومادية ، كانت تتمثل أولا في قريش ، وفي اليهود .

اما قريش فهي خصم الاسلام الاول، وكانت تود لو استطاعت أن تقضي عليه وهو ما يزال في مكة ، فلما انتقل الى يثرب واتخذ منها دارا له ، ومقر دولته الناشئة ، حين حسوتها ، وأيقنت ان الخطر قد أطبق عليها ، ولكن الاسلام بادرها فضربها ضربته الاولى في موقعة بدر ، في السنة الثانية لاستقراره في يثرب ، فعادت تترنح من هذه الضربة الفاجئة ، وان كانت لم تفقد الامل ، ولم تعدم الوسائل المختلفة تتوسل بها الى الكيد للاسلام ، فاتجهت الى بعض القبائل التي تربطها بها بعض الروابط الاقتصادية والمعنوية : تصطنعها وتؤلبها ، فلم تغن منها شيئا ، واتجهت الى اليهود : تحالفهم وتريد أن تستغل حقدهم وضغينتهم على الاسلام والرسول صلوات الله عليه ، ولكنها كانت محاولات طائشة ، لم تغن قريش منها شيئا ، وجرت على اليهود نكبات التنكيل والاجلاء ،

كما حاولت مثل ذلك في الشمال بين القبائل الضاربة هناك والخاضعة لنفوذ المسيحية الرومانية ، ولكنها كانت محاولات باطلة لم تكد تنتهي الى شيء مما كانت تدبره وتطمع فيه .

بطل كل اولئك الذي جهدت قريش في أن تمضي به على هذا الدين ، ولم تلبث ان رأت نفسها ضارعة امامه في الحديبية ، ثم مذعنة له ملقية بيدها اليه ، بعد ذلك بعامين يوم فتح مكة .

**واما اليهود الذين ما زالوا منذ استقر الاسلام في يثرب يضمرون الضغينة له والحقد على رسوله ، ويسلكون كل سبيل للكيد له ، فقد ارتد كيدهم الى نحورهم ، واستطاع الاسلام أن يجليهم عن المدينة ويأمن مكرهم : اجلى بني قينقاع بعد بدر ، ثم بني النضير بعد أحد ، ثم بني قريظة بعد الاحزاب ، ثم رمى ببصره الى مستعمراتهم في شمال الجزيرة ، في خيبر وفدك ، فغزاهم فيهما ، وقضى على نفوذهم بعد الحديبية قضاء تاما .**

وبذلك استطاع الاسلام حتى سنة الحديبية ان يقر سلطانه في جزيرة العرب ، وأن يقمع العناصر المناوئة ، فقد اذعنت قريش والقبائل الموالية لها ، أو التي كانت تجد في الاستجابة اليها تحقيقا لبعض نزعاتها ، أو تأميلا في بعض المغانم التي كانت تتطلع اليها ، وقد اجلى اليهود عن المدينة وانقطعت شوكتهم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة في خيبر وفدك .

وهناك عنصر آخر من عناصر العداوة للاسلام والمناوأة له ، لم يكن قد دخل ميدان المعركة بعد ، ولكن كان على الاسلام أن يواجهه ، قياما برسالته ، وتأمينا لجانبه ، وهو العنصر النصراني . وقد استقر ذلك العنصر في طرفي الجزيرة : شمالها وجنوبها في اليمن والشام .

أما اليمن فكانت في ذلك الوقت تابعة للفرس ، فكانت النصرانية فيها لا تجد من السلطان حاميا يحميها ، ولم تختلط فيها بشيء من العوامل السياسية ، وأما الشام فالأمر فيها مختلف ، فقد كانت خاضعة للدولة البيزنطية ، حامية النصرانية في ذلك الوقت ، فلا جرم كانت مناوأتها للاسلام تعتمد على قوة هذه الدولة ، وكانت خصومتها له خصومة دينية وسياسية معا .

ومن ذلك اختلف موقف الاسلام ازاء النصرانية في مشارف الشام ، والنصرانية في اليمن .

فخصومة الاسلام للنصرانية في اليمن خصومة وادعة هادئة لم تصطنع القسوة ، ولم تقترن بشيء من العنف . انما هي خصومة قوامها الدعوة والحجة ، بدأت بالجدال مع وفد نصارى نجران الذين وفدوا على الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة ، في السنة الاولى للهجرة ، وانتهت بارسال الرسول ، صلوات الله عليه ، رسالة الى اليمن دعاة هداة معلمين ، كمعاذ بن جبل ، وقد قال له في مبعثه هذا ، يرسم له خطوط رسالته : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وانك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، ثم

بعض المعاهدات التي عقدها الرسول ، صلى الله عليه وسلم مع بعض نصارى اليمن ، وقد دخلوا بها في ذمة المسلمين .

فأما خصومة الاسلام للنصرانية في بلاد الشام فالأمر فيها مختلف اختلافا كبيرا ، لما قدمنا ، فكانت خصومة اقترنت بالعنف واعتصمت بالسيف ، وقد ظهرت في مؤتة ، ثم في تبوك ثم في تلك السرية التي اعتزم الرسول ، صلى الله عليه وسلم انفاذها ، لمقاتلة الروم في الشام ، وجعل عليها اسامة بن زيد . وذلك هو الموضوع الذي بنينا عليه هذه الدراسة .

بعد أن فرغ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من أمر الحديبية ، أخذ يتجه ببصره الى ما وراء الجزيرة ، يمد اليها دعوته ، ويهيىء السبيل لنشر الدين الذي جاء به للناس عامة ، فجعل يكتب رسائل الدعوة الى الملوك والرؤساء فكان من ذلك كتابه المشهور الى هرقل ملك الروم :

**« من محمد عبد الله ورسوله ، الى هرقل عظيم الروم .**

**سلام على من ابيع الهدى . اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم . يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الاريسيين . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فتولو' اشهدوا بانا مسلمون » .**

وقد بعث هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي .

ولا بد أن نقف قليلا عند تاريخ هذا الكتاب . واكبر الظن أنه كان في خلال الشهور الاولى من سنة سبع ، فقد أجمع المؤرخون على أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، اتجه الى ارسال الكتب الى الملوك والامراء بعد عودته من الحديبية ، وكانت الحديبية في أواخر سنة ست . كما ذكروا أن دحية ابن خليفة الكلبي ، رسول النبي صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل كان ممن شهد خيبر ، وخيبر كانت في أواخر المحرم أوائل صفر سنة سبع ، فلعله انما مضى بالكتاب بعد ذلك ويوافق صيف سنة ٦٢٨ ميلادية ، ما بين يونية ويولية تقريبا .

في ذلك الوقت كان هرقل في نشوة ظفره على خصمه كسرى الذي كان قد اكتسح بلاد الامبراطورية البيزنطية ، بعد حروب عنيفة متطاولة بينهما ، امتدت ، منذ أخذ هرقل يوقف الزحف الفارسي ، سنوات ستا ، ظفر في نهايتها ، في فبراير سنة ٦٢٨ ، بهذا الخصم القوي العنيد الذي يصفه ابن جرير الطبري بأنه « كان من اشد ملوكهم بطشا ، وانفذهم رأيا ، وابعدهم غورا ، وبلغ — فيما ذكر — من البأس والنجدة والظفر وجمع الاموال والكنوز ومساعدة القدر اياه ما لم يتهيأ لرجل اكثر منه . ولذلك سمي : ابرويز ، وتفسيره بالعربية : المظفر » . فلا جرم كانت نشوة هرقل بهذا الظفر نشوة طاغية جارفة ، وخاصة انه في خلال هذا الظفر استطاع أن يسترد الصندوق الذي كان به الصليب المقدس ، والذي كان كسرى قد استولى عليه حين فتح القدس ، سنة ٦١٤ ، وملأ بذلك قلوب العالم المسيحي وجيعة وحزنا .

في وسط هذه النشوة الجارفة الطاغية التي كانت تغمر

هرقل وجميع من حوله ، بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، بكتابه هذا اليه ، يدعوه الى الاسلام : الى توحيد الله ، والا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . وكان هرقل قد لبث فترة من الزمن في بلاد الشام ، يقر فيها الامور ، ويدبر ما قد يحتاج الى التدبير ، ويستطعم النصر الذي أتيح له ، قبل عودته الى القسطنطينية ، وفي هذه الفترة تلقى الكتاب .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلم – ولا ريب – هذا الجو الذي يحيط بهرقل ويملأ نفسه غرورا وكبرياء وأنفة ، فلم يمنعه ذلك من أن يوجه اليه بكتابه ، كأنما يتحداه به تحديا ، ثم لم يكتف به ، بل عقب عليه بأن بعث الى الشام بعثة مؤلفة من خمسة عشر رجلا للدعوة الى الاسلام ، ولكن سبيل هؤلاء الدعاة كانت محفوفة بالمصاعب ، فلم يلبثوا أن اصطدموا بأهل هذه البلاد ، أو بأصحاب السلطان فيهم ، فقتلوا . وكان مقتلهم من الامارات السيئة التي تدل على سوء استقبال القوم للدعوة ، ومن قبل ذلك قتل عامل الروم على بصرى رسول النبي صلى الله عليه وسلم ، حين بعثه اليه يدعوه الى الاسلام .

واذن فالامر خطير كل الخطر ، وأقل ما فيه ما قد يتعرض له المسلمون الذين يقوم على حدودهم هؤلاء الروم وعملاؤهم من الأذى والفتنة ، واذن فلا بد من معالجة الامر معالجة حازمة ، ومواجهة الموقف مواجهة حاسمة صارمة ، لا تقف عند حد الدعوة السلمية ، حتى يمكن حماية الدعوة الاسلامية من هؤلاء الذين يترصدون لها ويبغونها الغوائل ، كما بدت اماراته منهم .

**وكذلك اتجه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الى توجيه الغزو هذه المرة نحو بلاد الروم ، فكانت هذه الغزوة التي تسمى في التاريخ بغزوة مؤتة ، وقد اجتمع فيها ثلاثة آلاف مقاتل ، أمر الرسول عليهم ثلاثة امراء ، يتعاقبون على قيادة الجيش ، اذا قضى أمير تولى القيادة الذي يليه ، وهم : زيد ابن حارثة ، وجعفر بن ابي طالب ، وعبدالله بن رواحة . وتاريخ هذه الغزوة هو جمادى الأولى سنة ثمان .**

وكما وقفنا عند تاريخ كتاب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل ، لنرى ماذا عسى أن يدل عليه هذا التاريخ ، وقد رأينا شيئا من ذلك ، نود أن نقف قليلا هنا ، عند تاريخ هذه الغزوة الذي يوافق في التقويم الميلادي شهر سبتمبر سنة ٦٢٦

في ذلك الوقت كان القسم الجنوبي من بلاد الشام يموج بمواكب هرقل ، وكان قد خرج من القسطنطينية في ربيع ذلك العام ، في جموع حافلة ، من جنود وبطارقة ، في أكمل عدة ، وأبهى زينة ، تغمرهم مشاعر الزهو والكبرياء ، وتحيط بهم معاني الأنفة والاستعلاء ، في شيء من العاطفة الدينية ، وها هو ذا ، في مواكبه هذه الرهيبة المهيبة ، يتجه الى القدس ، وقد أراد أن يتوج انتصاره على الفرس ، باعادة الصليب المقدس الى مكانه في بيت المقدس .

وقد بلغ المدينة المقدسة في هذا الشهر ، شهر سبتمبر ، واحتفل في الرابع عشر منه باعادة ذلك الصليب احتفالا بالغا غاية الروعة ، فظلت ذكراه حتى اليوم عيدا من الأعياد المسيحية : عيد تمجيد الصليب المقدس

وان هذا التوافق بين تاريخ غزوة مؤتة ، وذلك الحدث الكبير من أحداث الروم ، ليبعث على التساؤل : أكان مصادفة محضة أن يكون خروج جيش المسلمين متجها نحو الاردن في الوقت الذي كان ملك الروم وجنوده وبطارقته واتباعه وأشياعه يحتفلون فيه في مدينة القدس باعادة الصليب المقدس ، دون أن يكون هنالك صلة بين الحدثين ؟ أم كان المسلمون على علم بتلك الحشود الحاشدة ، وتلك الاحتفالات الزهوة المنتشية ، وكان توجيه جيش المسلمين في ذلك الوقت أمرا مقصودا لذاته ؟ فأي تحد اذن كان يضمره الرسول ، صلى الله عليه وسلم للروم وملكهم وبطارقتهم ، حين يقصد الى غزوهم ، وهم في أوج نشوتهم الدينية ، عقب تلك النشوة السياسية الغامرة ، بانتصارهم على الفرس ، واستعادة مجدهم الضائع البدد .

أكبر الظن أن أنباء هذا الموكب الضخم الفخم الذي مضى يتنقل في بلاد الشام كانت تبلغ آذان المسلمين في المدينة ، وان أمر ذلك الاحتفال كان معروفا ، فلم يكن القوم بمعزل عن أحداث السياسة الخارجية التي تقع على حدودهم وتتصل بكيانهم . وأكبر الظن انه مما كان يقصد اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، بهذه الغزوة التي كان يقدر خطرها ، أن يتحدى هؤلاء المعتزين بقوتهم ، المغترين بجبروتهم ، والذين خيل اليهم انهم بهذه القوة التي ظفروا بها دولة الاكاسرة يستطيعون أن يقمعوا هذا الدين الجديد ، وهذه الدولة الناشئة ، والذين سولت لهم هذه القوة وتلك النشوة الا يعبأوا بشيء من المواضعات المعهودة المرعية ، فهم يقتلون الرسل ، ويتعقبون البعوث المسالمة التي لا تقصد الى شيء الا بث الدعوة ، وازالة الغفوة ، والتنبيه الى المعاني الدينية السليمة المبرأة من غواشي البدع وضلال الاهواء . **وانما هو الايمان القوى القاهر الذى لا يتردد ولا يتوقف الذى جعل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتحدى هرقل ومن اليه ، وهم في عنفوان نشوتهم السياسية والدينية جميعا ، فكان توجيهه هذه الغزوة .**

**وكذلك فصل القوم عن المدينة ، وعليهم هؤلاء القواد الثلاثة .**

**« البقية في العدد القادم »**

**دكتور طه الحاجرى**



# الغزالى

## من أبطال الفكر الإسلامى والعالمى

بقلم عمر الدسوقى

للبطولة ميادين شتى غير ميدان الجهاد بالسيف ، ونصرة المبدا والعقيدة بالقوة ، ووضع الخطط وتنظيم الجيوش ، والصبر على مغالبة العدو ، واقتحام العقبات وتذليلها وانتزاع النصر وتقرير مصائر الشعوب في حومة القتال .

وان من اشق هذه البطولات اقتناصا ، واعظمها خطرا بطولة الفكر ، وصراعه في سبيل الوصول الى الحقيقة، لان البطل هنا لا يعتمد الا على عقله وقوة روحه ، وثبات عزيمته وحسن تقديره لما وصل اليه . وكثيرا ما يصطدم بالآراء الشائعة ، والتعصب للمبادىء السابقة ، وكثيرا ما تسيء الجماهير فهم مراده ، وادراك جهاده ، وهو بهذا يدخل في صراع مرير ، لانه لا يحاول ان يهزم اجسادا تخضع لحكم القوة والسيف ، ولكن يحاول ان يهزم نفوسا ، ويشكل عقولا ، ويقرر حقائق ، ويجتذب الابصار ، ويرد شبه المعاندين ، ويبطل حجج المكابرين . فاذا انتصر بعد كل هذا ، ودانت العقول لفكرته كان اثره عظيما لا في جيله فحسب ، ولا في شعبه فحسب ، ولكن في موكب الانسانية كلها جيلا بعد جيل .

ونحن في هذه العجالة نتحدث عن بطل من ابطال الفكر الاسلامى ، لا زلنا حتى يومنا هذا نؤمن بفكرته ، ونعجب برايه وطريقته ، على الرغم من توالي القرون ، لانه حاول جاهدا ان يخلص العقيدة الاسلامية من كل شبهات الزيغ ، والسفسطة والتهافت والشعوذة ، وان يقررها صافية واضحة للاجيال الاسلامية من بعده ، ولازال المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ينعمون بما وضح وقرر ، ويعكفون على آثاره يتدارسونها ويفيدون منها كلما عنت لهم شبهة في الدين ، او تفقه في اصوله او محجة يردون بها على اعدائه ، ذلكم هو الامام محمد بن محمد ابن احمد الغزالى المولود في سنة ٤٥٠ هـ والمتوفى في سنة ٥٠٥ من الهجرة ، والذى ترك اكثر من مائتى رسالة وكتاب في الدفاع عن الدين وخدمة مبادئه الشريفة .

ولا نستطيع في هذه الكلمة العاجلة ، ان نلم بكل القضايا الفكرية التى اثارها وبين فيها رايه مهما بالغنا في الايجاز ، وبحسبنا ان نلقى ضوءا على حياته وصراعه الفكري في سبيل عقيدته والوصول الى الحقيقة المجردة ، وبعض المشكلات العويصة التى اثارها وأبدى رأيه فيها .

ولد بمدينة طوس من اعمال خرسان ، وتوفى والده وهو لا يزال حدثا صغير السن ، وتركه هو واخوه احمد في رعاية صديق من اصدقائه ، كان صالحا متصوفا فنشأهما على العبادة وحب العلم ، ولما نفد ما خلفه ابوهما لهما نصحهما بالالتحاق باحدي المدارس ليحصلا علي قوتهما باعتبارهما من طلبة العلم.

تعلم في بلدته الفقه وبعض الدراسات الدينية البدائية ثم سافر الى جرجان ثم الى نيسابور فدرس علم الكلام والجدل وقرا شيئا من المنطق والفلسفة على امام الحرمين ( ابى على ابن الحسن بن اسحق الطوسي ) وقد افادته صحبته حصافة في النقد وبصرا بمهاجمة الخصوم ، ثم اتصل بمجلس نظام الملك وزير السلطان السلجوقى الب ارسلان، واخذ الغزالى يصارع في مجلسه العلماء ، ويصرعهم واحدا واحدا حتى بقى في الميدان فريدا ، فعهد اليه نظام الملك بالتدريس في مدرسته النظامية ببغداد فمكث بها اربع سنوات كثر فيها طلابه ، وعلا صيته وقوى جاهه .

وفي هذه الفترة كان يختلس اوقات الفراغ ليحكم دراسته الفلسفية ففرغ من ذلك في اقل من سنتين ، ثم اخذ ينعم الفكر فيما درس سنة اخرى ، واظهر على اثر ذلك كتابه ( مقاصد الفلاسفة ) الذى يقرر فيه مذاهبهم بايضاح زائد وتجرد يدعو الى العجب ، ثم كتابه ( تهافت الفلاسفة ) في الرد عليهم ونقض مذاهبهم واحدا واحدا .

وهنا اعترته حالة نفسية زهدته في الدنيا ، ونغصت عليه عيشه ، فساء ظنه بعلمه ، وانتابته الوساوس فانقطع عن التدريس ستة اشهر ، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره ، وحاول جهده ان يلقى في خلال هذه المدة ولو درسا واحدا استجابة لمريديه فحبس لسانه ولم يستطع الابانة ، ثم عزم على الحج فخرج الى الشام وبيت المقدس ورحل الى الاسكندرية ، ثم عاد الى دمشق ، وبها كان يعتكف بالمسجد فيصعد المنارة ويغلق بابها عليه ، واخيرا قصد مكة الى الحج بعد احدى عشرة سنة

من عزمته الآنفة قضاها في عزلة تامة وتفكر دائم وانقطاع عن كل شواغل الدنيا .

ثم رجع الى نيسابور رضي النفس بعد اداء الفريضة ، ورأى ان واجبه الديني يحثه على الدفاع عن الدين ، فاخذ يكتب ويؤلف ، ثم امره السلطان بالتدريس ، فامتثل لامره مدة سنة ، ولكنه آثر اعتزال الخدمة . واخيرا عاد به المطاف الى مسقط رأسه (طوس) واتخذ بجوار داره ملجأ للصوفية ومدرسة للفقهاء ، ووزع وقته بين العبادة والدرس ومجالسة ارباب القلوب واهل الحديث ، وبذلك اختتم حياته العنيفة الاحداث كما ابتداها وتوفي وهو في الخامسة والخمسين من عمره في ١٤ من جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .

كان الغزالي منذ ابتدأ حياته العلمية يبحث عن الحقيقة في الدين ، وقد وجد ركاما من الآراء والمذاهب المختلفة ، منذ ان نشأت الفرق الدينية في اخريات العصر الاموي واثارت الشبهات ، وانتشر الزنادقة والملاحدة يتهجمون على الاسلام بما في عقائدهم الوثنية القديمة من آراء ونظريات ، وجاء المعتزلة يفندون اقوال هؤلاء وهؤلاء ، ويعتمدون على العقل في تقرير الحقيقة ويستخدمون الاسلحة التي يستخدمها خصومهم من منطق وحجة ، ثم جاء الفلاسفة ونقلت اليهم فلسفة اليونان مشوبة بالافلاطونية الحديثة ، وحاولوا جهدهم التوفيق بين الفلسفة الهيلينية والدين الاسلامي ، واعتسف بعضهم الطريق ثم جاء المتصوفة واخذوا من الافلاطونية الحديثة ومن البوذية ومن المسيحية والاسلام . وكان كل من هؤلاء يتمسح بالدين ويدعي الدفاع عنه والحفاظ عليه ، والحقيقة الدينية ضائعة لا تجد من يصل اليها ، ويكشف عن جوهرها ، وظلت هذه الآراء المتضاربة ، والمبادىء المتباينة تتراكم وتتصارع حتى الى القرن الخامس الذي عاش فيه الغزالي . ومن ثم ابتدأ يفكر في كل هذه الآراء ويعمل فيها عقله ، ويحاول تصفية هذا الركام الكثيف ، وهذه التركة المثقلة ، ويستخلص جوهر الحقيقة الدينية .

ولنستمع اليه مبينا طريقته في هذه التصفية والاسباب التي حفزته الى ذلك حيث يقول : « ما زلت منذ العاشرة الى الآن اقتحم لجة هذا البحر العميق ( بحر الخلافات الدينية ) واخوض غمرته خوض الجسور ، واستكشف اسرار مذهب كل طائفة ، لاميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا الا وارصد مايرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا واتحسس وراءه بالتنبه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته . وقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور دأبي وديدني من اول امري ، غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها في جبلتي ولا باختياري وحيلتي » .

ومن هذا نرى ان الغزالي في سبيل الوصول الى الحقيقة الدينية عكف على تراث كل فئة يدرسه دراسة جادة ويتأمل فيه ثم يلخصه في مؤلف من مؤلفاته ، ثم يناقشه مناقشة الذي يريد ان يعرف الحق من الباطل وكان يبتغي كذلك من وراء هذه الدراسة ان يكون لنفسه رأيا صحيحا وعقيدة سليمة لا يكون فيها مقلدا ، كما ينشأ المسلم والنصراني واليهودي على ديانته تقليدا لوالديه بدون ان يعرف سبب اعتناقه لهذا الدين او ذاك . ولا يقصد الغزالي بالمقلدين العامة الذين لا يستطيعون الخوض في الابحاث الدينية واستخراج الحقيقة منها ، بل انه تهجم على الخاصة ورأى انهم اكثر تقليدا من العامة ، وذلك على حد قوله : « لانهم لا يفتشون عن الحقيقة المجردة ، بل كل همهم تأييد ما سبقوا الى الاعتقاد به تقليدا ، اذا عثروا في نظرهم على ما يؤيد معتقدهم قالوا : لقد وجدنا البرهان ، وان مر بهم مايعاكسه قالوا : لقد اعترضتنا شبهة ، حتى اصبح معيار الحقيقة عندهم اتفاق رأي من الآراء لا مع الواقع بل مع رأي امامهم »

كان من الطبيعي اذا ان يلجأ الغزالي الى الشك في كل هذه المذاهب حين هم بالبحث عن الحقيقة ، لان سبب الخلافات الدينية المستمرة في عصره هو التقليد والتعصب . وقد سبق بنظرية الشك هذه ديكارت وكان شرحه لها اصوب من شرح ديكارت . لانه قال : « لا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ، فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم » .

ولنستمع الى قول ديكارت في تأمله الثالث حيث يقول : « اعرف يقينا انى شيء مفكر ، ولا يوجد في هذه المعرفة الاولى الا شيء واحد يجعلني على يقين من الحقيقة ، وهو وضوح وبيان ادراكي لما اقوله ، ويجوز لي ان اضع من الآن قاعدة عامة: هي ان جميع الاشياء التي ندركها ادراكا واضحا جدا وبينا جدا هي كلها حقيقة » .

ولقد تفوق الغزالي على ديكارت في نقطتين : اولاهما انه حدد العلم اليقيني قبل ان يتقدم في اختباراته وابحاثه حتى يكون ذلك التحديد ميزانا صادقا يزن به العلم اليقيني من غيره . اما ديكارت فامتنع عن تحديد العلم اليقيني حتى عثر على حقيقة يقينية وهي ( افكر ، اذا فانا موجود ) ثم وضع حدا للعلم اليقيني ، ولا شك ان مذهب الغزالي اقوى واضمن، فلا بد من معرفة اليقيني اولا لانمكن من الحكم على معرفة ما بانها يقينية .

والنقطة الثانية التي تفوق فيها الغزالي هي ان تعريف ديكارت للعلم اليقيني فيه ضعف ، بل ما يدعو الى الشك ، اذ جعل معيار صدق المعرفة وضوحها ، ونسي ان الوضوح امر نسبي . الا يجوز ان المعرفة التي تظهر لي واضحة تصبح معرفة ناقصة او خاطئة بعد التامل والتفكير .

وجد الغزالي نفسه عاطلا من علم يقيني ينطبق عليه تعريفه، واخذ يناقش المحسوسات فتبين له انها عرضة للاخطاء وضرب مثلا بالظل الذي تراه ثابتا غير متحرك ، وبعد ساعة تعرف انه يتحرك ، وتنظر الى الكواكب فتراها صغيرة في مقدار دينار مع ان الادلة الهندسية تدل على انها اكبر من الارض في المقدار، وانتقل من ثم الى المعقولات واخذ يتشكك فيها ، وان مايراه معقولا قد تطرأ عليه حالة اخرى تبدله وتغيره . وبذلك انهارت كل معلومات الغزالي ، وحاول لذلك علاجا فلم يتيسر له الا اذا دفع الشك بالدليل ، ولا يمكن نصب الدليل الا من المعلومات الاولية فاذا لم تكن مسلمة لا يمكن تركيب الدليل،

ومكث زهاء شهرين كان فيهما على حد قوله ( على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله ذلك المرض واعاد الى النفس الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها ، ولم يكن ذلك بنظم دليل ، بل بنور قذفه الله تعالى في قلبه . ويقصد الغزالي بهذا النور الحدس والبصيرة التى تكشف عن البديهيات والحقائق الاولى . ونور الغزالي هذا يشبه النور الطبيعي عند ديكارت الذى ذكره في تاملاته وقرره في كتابه ( القواعد لارشاد العقل ) .

وليس عجبا أن يسبق الغزالي ديكارت في هذا ، فقد كان ذا عقلية فلسفية صحيحة ، وخلاصة القول في مذهب الشك عند الغزالي انه برهن فيه على تفكير فيلسوف صحيح يبحث عن الحقيقة المجردة ، ويتجرد من كل ما سبق له علمه سواء بالتقليد او بالحس او العقيدة ، ويبنى معرفته على اسس ثابتة لا شك فيها ، ولا يمكن ان يتطرق اليها الشك ، وهذا اهم شرط من شروط الفيلسوف الصحيح .

وقد اراد بكلامه عن النور الذى يقذفه الله بالقلب أن يقرر قاعدة عامة لمذهبه وهي أن العقل وحده لا يمكن ان يكون مصدر العقيدة الدينية ، لان الايمان يرجع الى الكشف الباطني ، الى القلب .

بهذا المنهج اخذ الغزالي يبحث المذاهب الدينية المختلفة، فرأى ان علم الكلام واف بالغرض الذى وجد من اجله وهو حفظ عقيدة اهل السنة ورد المبتدعة وافترائهم على الدين ، بيد انه وجه الى علماء الكلام انتقادا ، اذ انهم تسلموا من خصومهم مقدمات اضطروا الى التسليم بها ، وخاضوا في مسائل ابعدتهم عن الغرض الاساسي من بحثهم كالجوهر والعرض، ولم يوف علم الكلام بغرض الغزالي ، اذ لم يحصل منه على مايمحو الظلمات ويزيل الشك .

وناقش الفلاسفة مناقشة عنيفة في كتابه (تهافت الفلاسفة)، وفند مذاهبهم الا في السياسة والاخلاق فلم يجد فيهما مايمس الدين ، وانتقل الى الباطنية وزيف ادعاءاتهم .

ثم انتقل الى التصوف وطرق الصوفية في عهده ويقول : « تبين لى ان الصوفية هم السالكون بطريق الله تعالى خاصة وان سيرهم احسن السير وطريقتهم اصوب الطرق .. الخ » وبهذا اهتدى الغزالي الى احسن المذاهب بعد ما شك وبعد ان درس كل المذاهب والفرق . ومع انه راى مذهب الصوفية احسن المذاهب لانه يتفق مع القاعدة التي قررها وهي ان الايمان لا يحصل بالعقل ولكن بالكشف الباطني والنور الالهي ، الا انه راى التصوف قد دخله كثير من الامور التى افسدته من بوذية كالقول بالنرفانا او الفناء المطلق ، ومن الافلاطونية الحديثة كنظرية وحدة الوجود ، ومن المسيحية وغيرها ، وبذلك خالفهم وناقشهم مناقشات طويلة، ومن ثم كان الغزالي صوفيا على طريقته الخاصة ، وذا مذهب مستقل ، فليس كالحلاج ولا ابن عربي ، ولا ابن الفارض ، ومن المباحث الطريفة التي خاض فيها الغزالي ، وابدى فيها فكرا نيرا سبق به فلاسفة اوربا بقرون طويلة ، مسالة المعجزات ، وكيف تقع ؟ ، وذلك حين راى الفلاسفة يقولون : ان الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة ، فليس في المقدور ولا في الامكان ايجاد السبب دون المسبب ، ولا وجود المسبب دون السبب .

ويرى الغزالي ان هذا الحكم يعارض المعجزات التى تقع على ايدى الانبياء ، ويرى ان الاقتران المشاهد بين ما يعتبر في العادة سببا ، وما يعتبر مسببا ليس ضروريا ، بل جميع الاشياء مستقل بعضها عن بعض بحيث ان اثبات احدها ونفيه لايتضمن اثبات الاخر ونفيه ، فلايتحتم اذا وجد احدهما ان يوجد الاخر ، مثل الرى وشرب الماء والاحراق والنار، والشفاء وشرب الدواء ، فقد يكون هنالك شبع من غير اكل ، ورى من غير شرب ، ويرى الغزالي انه يجوز خرق العادة بتغير صفة السبب او المسبب فيحدث الله في النار صفة تقصر سخونتها على نفسها ، او يحدث في الشيء صفة تدفع اثر النار . فابطال فعل العلة جائز في الطبيعة بقدرة الله ، ومن ثم تحدث المعجزات.

ويمكننا ان نؤيد راى الغزالي بقولنا : هل في طبيعة الاشياء ما يمنع اى تغيير في نظامها ؟ اذا نظرنا الى قوانين الطبيعة الحالية وجدنا انها موجودة ليس الا، ولم يتقدم احد ما ببرهان على انها يجب ان تكون موجودة على هذا الوضع الحالي ، ويقول سبونزا : « ان قوانين الطبيعة وجدت بحكم الضرورة كجزء من كينونة الله ولكن لا يوجد انسان على معرفة بالعلوم الطبيعية يدعى بان من المستحيل ان توجد قوانين طبيعية غير الموجودة الآن » . ولقد خص نيوتن جزءا كبيرا من بحوثه على الطريق الذى يجب ان يسلكه الجسم لو كان العامل المؤثر عليه قانونا آخر غير قانون الجاذبية أو قانون الثقل .

ولقد اشتبك رجال العلم اخيرا في مناقشة حادة حول الموضوع الآتى وهو : « هل توجد بعض الجراثيم الحقيرة جدا من نفسها او تتولد من جراثيم اخرى ؟ » ، واذا كان هنالك قانون عام معترف به في عالم الطبيعة فذلك هو القانون القائل بان الحياة تتولد من الحياة ، فاذا اعترف باحتمال تدخل قوة خالقة في نظام الطبيعة بايجادها مخلوقات جديدة ، بل مخلوقات متناهية في الحقارة كان هذا اعترافا بوجود المعجزات بمقدار لم تفكر فيه اية ديانة ، ولاسباب غير الاسباب التى تعتمد عليها الديانات .

وهنالك امثلة عدة تدل على ابطال العلة العادية بعلة اخرى، فالمعروف مثلا ان الماء يغلى في درجة المائة ، ولكن يمكن أن يغلى الماء في درجة اقل من المائة اذا كان ضغط البخار الناشيء اقل من الضغط الواقع على الاناء . ونرى مثلا (الموتوسيكل) لا يتبع قانون الجاذبية ، بل يصعد على الحائط دون ان يقع، وذلك لشدة سرعته ، وهكذا يتغير صفة في السبب أو المسبب كما قال الغزالي يبطل فعلة العلة العادية ، فاذا سلمنا بهذا المبدا فلم لا نقول بوجود علل اخرى لا تنتمى لعالم الطبيعة تسبب خرق العادة؟ ويكون ظهور المعجزة على يد مدعى الرسالة هو بفعل تلك القوى التى لا تنتمى الى هذه القوانين العادية الطبيعية ، وانما تنتمى الى نظام خلقى او روحى أو دينى وهذا يحقق قول الغزالي : « وكيف نامن ان يكون في مبادىء الوجود علل واسباب اخرى تفيض منها هذه الحوادث » .

وقد قام في القرن الثامن عشر دافيد هيوم ينتقد قانون السببية ، ويكاد كلامه يكون كلام الغزالي بالحرف الواحد على ان كلا من الرجلين لم ينكر قانون السببية ، وانما انكر ارجاعه الى ضرورة العقل .



# الهجرة شيء لا يعرفه عبيد أنفسهم!

بقلم: محمد الغزالي

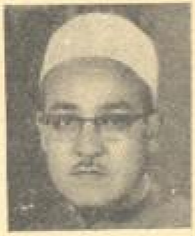
**عبادة الذات هى الوثنية الجديدة التى تجتاح العالم وتهدد حضارته ، أو هى الآفة التى تفسد تقدمه العلمى وتجعل وثباته المعجبة خطوات الى الخلف لا الى الأمام .. !!**

نهمة الى متاع الدنيا ليس منها شبع ! وغفلة عن الدار الآخرة ليس منها يقظة ، وحركة تدور حول نفسها بقوة كأنها اعصار مجنون ..

**اما المبادىء العامة التى ينتظر أن تشد الانسان من هذا المحبس الضيق ، وتطلعه على آفاق انسانية أرقى فقد أصابتها العدوى هى الأخرى ، اذ أصبحت المادية لحمتها وسداها .**

وسيان فى الهبوط ان ينحدر المرء وحده ، أو ينحدر مع جماعات تتواصى بالحاضر دون المستقبل ، وتتعارف على شهوات الجسد لا على أشواق الروح وتعترف بواقع الأرض وتتجهم لوحى السماء ...

هناك ، وراء حدود العالم الاسلامى ، بدا هذا السواد ، وفى فترة اعياء من تاريخنا الطويل اخذ دخانه يزحف علينا ويخنق انفاسنا .



**وفى ركاب الاستعمار المشئوم انسابت ألوان من الالحاد تغرى بترك الدين وطلب اللذة ، ونبذ الصلاة واتباع الشهوة ، وذكر النفس ونسيان الله .**

**ولما كان الاسلام طريقة حياة ، ومنهج تربية ،**

ولماكان لونا معينا للتفكير وصياغة محدودة للمجتمع

---

ومن الامور التى سبق بها الغزالى فلاسفة الغرب قوله مخالفا بذلك الفلاسفة المعاصرين له ـ بان المعيار الذى يحدد الخير والشر ليس العقل وحده كما يقولون ويقول معهم المتكلمون ولكنه العقل والشرع معا او بعبارة اخرى العقل المتأدب بالشرع ، وهذا يشبه ماقال به دون سكوت، وجرسون وغيرهما من فلاسفة الاخلاق فى اوربا من الذين جعلوا الخير تابعا لارادة الخالق ، فالخير ليس خيرا بالذات بل هو خير بارادة الله .

والمقام لا يسمح لى ان استمر فى هذه الموازنات بين آراء الغزالى وآراء فلاسفة الغرب فى القرون الاخيرة امثال سبنسر، وبسكال وديكارت وسبونزا وهيوم وجرسون وغيرهم . لقد كان الغزالى نسيج وحده فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وقد كان اثره عظيما فى تقرير قضايا الدين والدفاع عنه ، بعد أن درس المذاهب كلها دراسة العالم الذى يريد أن يصل الى الحقيقة بدون تحيز ، واخذ يرد على كل فريق بما يدحض حججه ويوهن عزمه فألف لاهل الاباحة ( كيمياء السعادة ) ، ولاهل الحيرة ( القسطاس المستقيم ) والف ( الجام العوام عن علم الكلام ) حتى لا تفسد عقيدتهم ، والف ( تهافت الفلاسفة ) ، و ( المنقذ من الضلال ) ، واكثر من مائتى كتاب ورسالة ، فعل هذا فى الوقت الذى كانت فيه اوربا عن بكرة ابيها تتأهب للغزو الصليبى ومهاجمة الاسلام فى عقر داره ، وقد تقررت المذاهب ووضح أمرها وسكت الفلاسفة فى الشرق الى الابد وبانت حقيقة العقيدة الدينية الاسلامية مما لايدع مجالا لشاك او مفتر او متهجم ، كل ذلك على يد الامام الغزالى رحمه الله . بعد ان خاض فى سبيل ذلك صراعا نفسيا وفكريا عنيفا مع اهل زمانه فكان بحق بطلا من ابطال الفكر الاسلامى جديرا بأن تخلد ذكراه ، وتعرض آثاره عرضا جديدا .

عمر الدسوقى

فقد اشتبك مع هذا الوباء الهاجم ، والتحم معه فى صراع حياة او موت .

وقد قدرت الأمة الاسلامية فى ميادين شتى على مغالبة هذا البلاء والنجاة من فتنته الا أن أمامها أشواطا صعبة للخلاص الكامل من الشرور التى خلفها ، وهى شرور كثيرة متنوعة ..

وربما جاش فى صدرى هذا السؤال : ترى أيستطيع المسلمون مع نهاية هذا القرن – الرابع عشر للهجرة – ان يغسلوا رقعة وطنهم الممتدة فى القارات الثلاث من كل آثار الاستعمار ؟ وان يطاردوا – مع جيوش الاحتلال المنسحبة، وقواعدها المنهارة – بقايا التحلل والفسوق المبعثرة فى جبهات عريضة ؟

ان هذا الأمل ليس بعيد التحقيق ولكنه ثقيل التكاليف .

وقد دخل الاسلام من قبل فى ظلمات مماثلة او اشد ، ثم خرج منها خروج البدر من بين اطباق السحب ، لم تنقص صفحته ولم يخب شعاعه .

ان الكر والفر أخلاق مألوفة فى تاريخ الجهاد وسيرة المجاهدين ، فلا غرور بنصر ، ولا يأس من هزيمة ..

لكن استعادة امجاد الاسلام غاية شاقة التكاليف كما المعنا ، وهى تتطلب قبل كل شىء أن تنخلع من أساليب العيش المفروضة علينا من وراء الحدود – أعنى العيش للنفس ومآربها – وأن نفكر بجد فى العيش لله ، ولدينه ..

**وهذا كلام يبدو غريبا ..**

**بيد انه الحقيقة التى يشير اليها كل شىء فى قصة الهجرة النبوية .**

**ان سبب الهجرة وهدفها معا ، ارادة الانسان** وفق عقيدته التى ارتضاها ، واحساسه ان البيئة التى احتوته لا توائم عقيدته ، فهو يدعها الى بيئة أخرى يستطيع ان يفرض عليها ايمانه أو تستطيع أن تلين هى لمطالب ايمانه .

اما قبول العيش على اى نحو فلا مكان معه لهجرة ما .

والعيش لله وحده شعار معروف لصاحب الرسالة الاسلامية الذى اجرى الله على لسانه

**« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين » .**

وجماهير المسلمين مكلفة أن تسير وراء رجلها الأول تحت هذا الشعار المتفانى فى الله ، الذى يكرس الجهد والوقت له ، جل شأنه .

وعند التأمل نجد الناس أنواعا : منهم من يحيا كما يشتهى ، لا يعنيه من الدنيا الا ادراك لباناته واشباع حاجاته .

ومنهم من يحيا بدين ، فهو يضبط سلوكه بقواعده ، ويحكم ربه فيما يفعل ويترك .

ومنهم من يحيا للدين ، اى من يصبح ويمسى وانتباهه مشدود وراء غايته المقدسة فهو يحزن ويفرح ، ويهدأ ويقلق ، ويخاصم ويسالم ، ويسافر ويقيم من اجل دينه .

والاسلام عدو للصنف الاول ، صديق للصنف الثانى ، غير انه يتبوأ مكانته فى العالم بالصنف الاخير ، وما أحوج الاسلام فى يومه هذا الى رجال كثير من هذا الطراز الذى يعيش له متجردا متفردا ، يرى لذاته فى نصرة الحق وسحق الباطل ، وان تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة اعدائه السفلى .

ان هلال المحرم يشق طريقه فى الدجى كل عام ليذكر الناس جميعا بهذه الحقيقة فى تاريخ العقائد، فان ترسيخ الايمان فى عالم نافر منه ثائر عليه لا يستطيعه المرتزقة ولا المحترفون ، ولا انصاف المؤمنين ، ولا الحرص على متاع الحياة ، انما يستطيعه الذين وصفهم الكتاب العزيز بقوله : **« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .**

**ولانتصار العقائد منطق يجب أن يعرف**

**تنتصر العقائد بين الناس بعد ما تنتصر فى نفوس أصحابها .**

**هذه حقيقة يجب ان يعرفها حملة المبادىء ، وان يطمئن اليها نقلة المثل العليا الى الناس .**

فاذا حدث أن وازن الانسان بين عقيدته ونفسه فرجحت نفسه ، أو بين عقيدته وماله ، فرجح ماله، أو بين عقيدته ومتعه الخاصة ، فرجحت متعه الخاصة، فمعنى ذلك ان العقيدة اهون لدى صاحبها

من كل ما يملك او يهوى ، وسوف يبيعها فى اول مساومة ويتخلى عنها فى اول صدام !

اما اذا غالى الانسان بعقيدته، فسفك دونها دمه، وبذل قبلها ماله ، وضحى فى سبيلها براحةالبدن، وسكرة اللذة ، وطيب العيش ، فقد صدق فى ايمانه، ووفى لعقيدته ، ونجح فى محنتـه ، وكسب النصر لدينه ، والخير لنفسه معا .

تأخرت استبقى الحيـاة فلم اجد
لنفسى حيـاة مثل أن اتقدما

وذلك المعنى الرائع هو الذى ملأ نفوس المؤمنين قبل الهجرة ، فلما دخلوا مع العالم كله فى « معركة المصحف » بدأت الخسائر تنزل بهم متلاحقة، وظلوا مروعين فى انفسهم واهليهم بضعة عشر عاما، وكانت دورهم واموالهم بمكة آخر ما نزلوا عنه فى سماحة ورضا .. دون أن يفرطوا فى ذرة من ايمانهم ، او يقبلوا الدنية فى دينهم ، او يميلوا قليلا مع تيار الكفر المتساوىء لهم ، حتى لقد فهم المشركون ان ارتداد الشمس فى مدارها اقرب الى الوقوع من ارتداد مسلم عن دينه .

لقد انتصرت العقيدة فى نفوس هذه الفئةالمكافحة انتصارا حاسما ، وفداها أهلها بكل غال ولمين، فلم يبق الا أن تأخذ جزاءها الحق، وان ترفرف اعلامها بين الناس أجمعين ، وان تنحنى لها الهامات اجلالا واكبارا .

ولو كانت هامات الخصوم والمكابرين

ان هذه الحقيقة ـ انتصار العقـائد فى نفـوس أصحابها ـ تكملة حقيقة اخرى ، وهى أن اهل الخير ، ان فاتهم تأييد اهل الأرض بعد ما يبذلون كل ما لديهم من طاقة ، فلن تخذلهم فى كفـاحهم المقدس قوى السماء !

**وذلك سر التحدى فى قول الله تعالى للنـاس : « الا تنصروه فقد نصره الله »**

اجل .. فما كان الله ليذر المخلصين من عباده دون ان يشرفهم بالنصر الموعود . بيـد أن للقـدر الأعلى أسلوبا فى سوق النصر يعلو على مستوى العقول ، فما تقول فى امر ظاهره هزيمة وفرار ، وباطنه تأييد وانتصار ؟

**لقد كانت الهجرة خاتمة سيئة لجهاد طويل فى مكة . هكذا بدا للسطحيين من الناس ـ ولكنالقدر العزيز جعل من هذه النهاية المحزنة نقطة التحـول فى تاريخ الدعوة الاسلامية كلها ، وبداية الفوز المكين والغلب الساحق .**

ذلك أسلوب القدر الحكيم ! لا يزال يتكرر مع الزمن ! شر فى باطنه خير ، وقتل فى أعقابه حياة ، وتراجع يتبعه التقدم والانطلاق ! .

ويجب ان يستيقن النـاس فى هذا العصر من « **عمل السـماء** » لتـأييد اهل الحـق ، فان من القوانين الاجتماعية الثابتة ان الله جل شأنه لايدع فئة أخلصت له قلبها واسلمت له وجهها وكرست له جهادها ..

ومهما كانت تلك الفئة قليلة ، ومهما كانتالقوى المناوئة لها كثيرة فا نالله لا بد ناصر اولياءه ، خاذل اعداءه ، وان طال المدى وشق الطريق .. « **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز** » .

بيد ان ذلك يحتـاج الى ايمـان بالغيب ، يغلب كآبة الحاضر .

ايمان بما وعد الله من نصر ، وغنى ، وان كان اليوم موجعا بأسباب الضعف ، والفاقة .

هذا الايمان بالغيب ، هو الامل الذى يستدفىء به المجاهدون فى ليالى العراء ، ويهزمون به موجات البأساء والضراء .

**انه ليس املا مبهما فى المستقبل البعيد ، ولكنه الأمل الراسخ فى جنب الله الكبير ، نعم المولى ونعم النصير ..**

**والامل فى الله . من هذا الصف المؤمن الحارس للحق على مر العصور ما خاب قط .. ولعل مثله الأكبر . هذه القلة الصبور من مؤمنى مكة الذين استقاموا مع منطق الايمان الحى ، فاذا هم بعـد سنين ـ غير طوال ـ عالم مكتمل الحضارة ، غامرو الضياء .**

**محمد الغزالى**

# من أغانى الهجرة

للشاعر محمد مصطفى المليجى

- قد أشرق بالنور العالم
- وبه يعتز الاسلام
- والكون أمان وسلام
- وصباح أذن بالهجرة

- قد هاجر فيه المختار
- واضاء بمقدمه الغار
- وعليه من الله ستار
- وتجلت أسرار القدره

- قد هاجر معه الصديق
- والله ولى ورفيق
- والحق سبيل وطريق
- وأتم الله به أمره

- اعداء الله لقد وقفوا
- وبامر الله قد اختلفوا
- رجعوا بالخزى وما عرفوا
- القادر قد اعلا قدره

- قد جئت بهدى وبيان
- بالحق ونور الرحمن
- قد جئت بنور القرآن
- باللفظة اعجز والفكره

- قد سوى مابين الناس
- بكتاب الله ونبراس
- واخاء فالكل سواسي
- لم تبق لمخلوق عذره

- يا خير رسول ونبى
- المعلم أتى من أمى
- انقذت الناس من الغى
- وهديت الناس من الحيره

محمد مصطفى المليجى

# ثائرون



للدكتور محمد أحمد خلف الله

حين نقرأ القرآن الكريم ، ونستعرض الآيات التى تدور حول الأنبياء المرسلين ، نجد ان القرآن الكريم يعدهم من الثائرين ، أو من المصلحين المجددين ·

ان مهمتهمّ كما صورها القرآن ، تنحصر فى أمرين عظيمين :

**الأول منهما : القضاء على الآراء والمعتقدات ، وعلى العادات والتقاليد ،التى لم تعد صالحة للحياة، والتى تعتبر من العقبات فى سبيل تطوير الحياة ·**

**والثانى منهما: تجديد الحياة، واعادة بناء المجتمعات على أساس جديد من الآراء والمعتقدات ، وما يبنى على الآراء والمعتقدات من عادات وتقاليد ·**

وعمليات الهدم والبناء هذه لا تسلم للأنبياء المرسلين فى سهولة ويسر فهناك دائما معارضة · هناك من يقاوم عملية الهدم لأنه لا يزال يرضى عن تلك الحياة التى يحياها ، وعن تلك المعتقدات التى كان يؤمن بها ، ويرى لها من القداسة ما يوجب الاحترام ـ وبخاصة لأنها قد انحدرت اليه عن الآباء والأجداد ·

وهناك من يقاوم عملية التجديد لأنها تخرج به عما ألف ، وتلقى به فى غياهب مستقبل مجهول · ثم لأنها قد تقضى على كل ما يستمتع به من جاه ، وعلى كل ما يملك من سلطان أو نفوذ ·

هذه المعارضة لا تقف مكتوفة الأيدى أمام من يزلزل بنيانها او يأتى على سلطانها ، وانما تناصبه العداء ·

والمعارضة فى معاداتها للأنبياء المرسلين لا تقف عند حد الجدل والحوار ، فانما تمضى الى أبعد منهما حتى لقد تذهب الى حدود القتل والاغتيال ·

والأنبياء المرسلون أنفسهم لا يقفون مكتوفى الأيدى ، فانما يجدون ويجتهدون فى القضاء على المعارضة ، وقد يصل بهم هذا الاجتهاد الى حدود الحرب ، والقضاء عليهم جملة ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله

وقد يكون من المفيد لى ، ولك ، أن نمضى سويا مع هذه الآيات البينات ، نمضى مستعرضين لكل ما ذكرنا من المواقف كما جاءت فى **القرآن الكريم ·**

الأنبياء المرسلون هم الذين يجددون بناء المجتمع بما يبثون من أفكار ، ويبذرون من آراء ، وينشرون من عقائد · وهم الذين يلائمون بين حاجات الأمم ومقتضيات الزمان وبين الآراء والمعتقدات · وهم حين يفعلون ذلك انما يمدون فى عمر المجتمع ويحولون بينه وبين الضعف والانحلال · **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه**

**وكانوا مجرمين • وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » ـ « قال يا قوم اني لكم نذير مبين • أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون ، يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون » •**

والأنبياء المرسلون هم الذين يهبون للأمة الوحدة بتوحيدهم للعقيدة واحالتهم لها الى قوة دافعة يصدر عنها الأفراد والجماعات في كل ما يذهبون اليه من رأي ، وفي كل ما يقومون به من عمل • « **وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ـ « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » •**

والأنبياء المرسلون ينبتون نباتا طبيعيا • فهم من البيئة وليسوا بالغرباء عنها • انهم من جنس الذين أرسلوا اليهم « **قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** » •

ثم انهم اخوانهم المتحدثون بلسانهم • فنبي قوم عاد أخوهم هود ، ونبي قوم ثمود أخوهم صالح ، ونبي مدين أخوهم شعيب « **وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه ليبين لهم** » •

والأنبياء المرسلون ولدوا في البيئة التي ارسلوا فيها ، وخالطوا الأهل والعشيرة ، وقلدوا ـ وهم في مرحلة الطفولة ـ الكبار من أبناء المجتمع،فآمنوا بما يؤمن به هؤلاء من معتقد ، ودانوا بما يدين به هؤلاء من مله ، وظلوا على حالهم الى ان جاءتهم البينة من ربهم وعند ذلك قاموا بالاصلاح ، ودعوا الى التجديد، وأصبحوا في عرف غيرهم من الثائرين • « **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا • قال أولو كنا كارهين • قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » ـ « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا » ـ « قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت ان اسلم لرب العالمين » •**

وعند الدعوة تبدأ المعارضة، ويبدأ انقسام الناس الى مؤيدين ومعارضين • « **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون » ـ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا » •**

وانقسام الناس الى مؤيدين ومعارضين لا يكون في المجتمع فحسب،وانما يكون في الأسرة الواحدة فيقف الأب في جانب والابن في جانب آخر• وتقف الزوجة في جانب ويقف الزوج في جانب آخر • فابراهيم عليه السلام في واد وأبوه في واد آخر ، وعلى العكس من ذلك نرى نوحا عليه السلام في واد وابنه في واد آخر • وفرعون في واد وامرأته في واد آخر ، وعلى العكس من ذلك نرى نوحا ولوطا في واد وامرأتيهما في واد آخر• « **يا أبت لم تعبد مالايسمع، ولا يبصر ، ولا يغني عنك شيئا • يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا • يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا ابت اني اخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا •**

**قال : أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا •**

**قال : سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا • واعتزلكم وما تدعون من دون الله، وادعو ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا » •**

« **ونادى نوح ابنه، وكان في معزل ، يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين •**

**قال : سآوي الى جبل يعصمني من الماء •**

**قال : لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم • وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » •**

« **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين » •**

«**والذي قال لوالديه اف لكما أتعدانني أن أخرج،**

**وقد خلت القرون من قبل . وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق .**

**فيقول : ما هذا الا أساطير الأولين » .**

والمعارضة تتمثل فى :

( أ ) الأغنياء الموسرين – أى فى الاقطاع والراسمالية .

(ب) الجامدون العاجزون عن التطور – أى فى الرجعية .

بينما يتمثل التأييد فى الفقراء والتقدميين .

ويشير القرآن الكريم الى ذلك كله فى عديد من الآيات ، يشير الى أن الأغنياء يقفون دائما فى وجه الدعوات « **وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون** » . كما يشير الى أن الأغنياء ينفقون الأموال فى سبيل صد الناس عن الدعوة ، والقضاء على الدعوة ولا تزال فى مهدها وانهم قد يكسبون بعض الأعوان – ولكن ذلك لن يفيد ، فالدعوة بالغة أجلها وهم منتهون الى عذاب اليم . « **ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله . فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة، ثم يغلبون . والذين كفروا الى جهنم يحشرون** » – « **وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا** » – « **ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول . يقول الذين الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين .**

**وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم، بل كنتم مجرمين.**

**وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، اذ تامروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا . واسروا الندامة لما راوا العذاب ، وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا – هل يجزون الا ما كانوا يعملون** » .

اما الفقراء فعلى العكس من ذلك . انهم الذين يستجيبون للرسل ، وانهم الذين يؤمنون بالدعوة ويتحملون الأذى فى سبيل نصرة الدين الجديد . ثم انهم الذين يقفون دائما الى جانب الثائرين المجددين.

والأغنياء يعيرون الرسل بذلك ، ويرون فى انضمام الفقراء الى الدعوة خطوة غير سليمة لأنها عقبة فى سبيل قبولهم للدعوة ودخولهم فى الدين الجديد. ولذا يطلبون الى الأنبياء المرسلين طرد هؤلاء الفقراء المساكين . ويرفض الرسل حتما هذا الطلب ويمضون مع الفقراء فى تثبيت هذه الدعوة ، وهذا الدين الجديد. « **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى**» – «**قالوا : انؤمن لك واتبعك الأرذلون**» – « **وما أنا بطارد المؤمنين ، ان أنا الا نذير مبين** » – «**ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين** » – «**ويا قوم : من ينصرنى من الله انطردتهم افلا تذكرون** » .

والأسباب التى تدفع الأغنياء الى هذا الموقف كثيرة . منها أن الثراء الواسع سبيل الترفيه والاستمتاع بما فى الحياة من لذائذ وطيبات. الأمر الذى يولد فى الأنفس محبة الحياة ، ويخلق فيها الأثرة ، ويجعلها كارهة كل الكره لتغيير هذه الأوضاع ، « **بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين . ولما جاء الحق قالوا : هذا سحر، وانا به كافرون** » – **وقالوا : سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء – ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر . وكانوا قوما بورا** » – « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمه ، وانا على آثارهم مقتدون** » .

ومنها أن الغنى يدفع الى الكبر والاستكبار والعناد وكل ذلك يؤدى الى الضيق بالدعاء ولو كانوا من المرسلين ، والى الضيق بالدعوة ولو كانت صادقة وكانوا يؤمنون بها فيما بينهم وبين أنفسهم « **كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » – « **وجحدوا بها ، واستيقنتها انفسهم ، ظلما وعلوا . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**» – « **ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا . فبشره بعذاب اليم** » .

أما الرجعية أو السلفيةفقد يكفينا فى شأنها هذه الآيات من القرآن « **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله ، والى الرسول ، قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه**

**آباءنا** » ـ « **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا** » ـ « **قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا** » ـ « **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها** » ـ « **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** » ـ « **قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم آباءكم . قالوا انا بما ارسلتم به كافرون** » .

والمعارضة تسلك في سبيل تحقيق أغراضها كل طريقة ممكنة ، لا يردها عن ذلك ضمير حي أو خلق كريم .

تتبع اولا أسلوب الاستهزاء والسخرية ، ويسمع النبي المرسل من الذين ارسل اليهم امثال هذه العبارات ـ « **اهذا الذي بعث الله رسولا** » ـ « **اهذا الذي يذكر الهتكم** » ـ « **أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا** » .

وتدل الآية التالية على ان القرآن الكريم يشير بان تلك قاعدة عامة ، وان هذا الأسلوب الساخر هو القاعدة التي تلجأ اليها المعارضة في كل زمان ومكان « **ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون** » .

هذا الأسلوب قد يؤثر في نفس النبي المرسل ولكنه لا يصل أبدا الى الحد الذي يجعله يتوقف عن المضي في الدعوة « **وانه ليحزنك الذي يقولون** » ـ « **ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون** » .

ويمضي الرسول في دعوته وتمضي المعارضة في سبيلها ، وتخرج من أسلوب السخرية الى أسلوب آخر لعله أن يكون أشد وأنكى هو أسلوب التهديد والوعيد .

والتهديد هو الآخر ياخذ اساليب عديدة ومتنوعة ، فهناك التهديد بالرجم . وهناك التهديد بالاخراج من الأرض . وهناك التهديد بالقتل . وهناك التهديد بالسجن . ونرى التهديد بالاحراق . « **قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** » ـ « **قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم** » ـ « **لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين** » ـ « **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا** » ـ « **ذروني اقتل موسى وليدع ربه** » ـ « **لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين** » . « **اقتلوه او حرقوه وانصروا آلهتكم** » .

ولم يقف الأمر عند حد التهديد وانما اوقعوا العقاب فعلا بالأنبياء المرسلين ، وحيكت المؤامرات فعلا لاغتيالهم . « **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ، قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون . وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ، ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون . ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا ، وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ـ انا دمرناهم وقومهم اجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون** » ـ « **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ، فارادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ... قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم** » ـ « **قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد** » ـ « **افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** » .

كل ذلك والرسل ماضون في دعوتهم ، معتزون باعمالهم . لايقعدهم تهديد او وعيدعن القيام بواجبهم وتحمل مسئولياتهم أمام أقوامهم او أمام الانسانية .

والرسل أنفسهم يمرون بفترات تشبه تلك التى تمر بها المعارضة ، ويسلكون من السبل مايقسد على المعارضة اعمالها . ولايزالون كذلك حتى يكثر المؤيدون لهم ، الواقفون الى جانبهم ، فيسلم لهم الأمر ، ويكون الاصلاح والتجديد .

. والفترات التي يمر بها الرسل واضحة هي الأخرى من آيات القرآن الكريم .

ان موقف الرسل يكون في أول الأمر موقف من ليس له من الحول او الطول الا الالتجاء الى ربه ، والدعاء على الأعداء . « **وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك**

**ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » ـ « وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على اموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .**

ثم يلجأ الرسول بعد ذلك الى التهديد والوعيد . وهو تهديد ووعيد من نوع آخر . انه يكون بالمصائب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة . ويكون ذلك تأييدا من المولى جل وعلا لمن ارسلهم لهداية الناس والخروج بهم من الظلمات الى النور . « **فارسلنا عليهم الطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات** » ـ « **واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين** » ـ **فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون** ـ «**واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون** » ـ « **قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** » .

اما حين تقوى الدعوة وتشتد ، ويكثر عدد الأنصار والمؤيدين فان الموقف يتغير ، ويأخذ الرسول ومن معه فى سلوك سبل أخرى للقضاء على المعارضة . هذه السبل تكون فى الحرب والقضاء عليهم ، وتكون فى العفو عما سلف والدخول فى الدين الجديد . « **قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله** » .

بقيت كلمة أخيرة فى نوع ثالث من الناس هم المنافقون الذين يقفون بين بين ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

اوهم الذين يضمرون غير مايظهرون حين يجاورون القوة ، ويخشون على أنفسهم من غضبتها . انهم يداورون ليكسبوا مجدا زائفا أو ليظفروا بمصلحة عاجلة . وهؤلاء فى حس القرآن الكريم أضر على الدعوة من المعارضة السافرة ، ويقف القرآن منهم موقفا أشد وأنكى من موقفه من المعارضة .

يقول القرآن الكريم فى حق هؤلاء :

**اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون .**

**اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .**

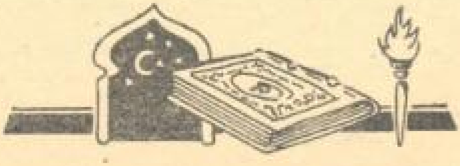
**واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كانهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم . هم العدو فاحذرهم . قاتلهم الله ، انى يؤفكون .**

ويقول القرآن الكريم ايضا فى حقهم : « **لئن لم ينته المنافقون ، والذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى المدينة ـ لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا .**

**ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا .**

**سنة الله فى الذين خلوا من قبل . ولن تجد لسنة الله تحويلا** » . **وصدق الله العظيم .**

**دكتور محمد احمد خلف الله**





# الفجر العائد

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

وفى ليلة فجرها فى السفوح     ظلام يغنى ، وضوء ينوح
وفح المنايا على دربها     سكون شقى ، واشلاء ريح
وأشباح رقص اثيم الظلال     توهج فى كل أفق جريح
تململ فيها زوال القبور     وكاد البلى عن شجاه يبوح

سمعت بها غضب الأنبياء     مزامير ويل عتى صداه
وأبصرت ألواحهم فى الفضاء     محاريب تصرخ فيها الصلاة
وتسبيحهم من ضفاف السماء     يصب على الأرض بخط الاله
ويرمى عليها دخان الشقاء     أعاصير حقد تؤز الحياة ..

تلاطم فيها عويل الغيوب     وضجت بها شهقات القدر
ولاحت مآذنها فى الظلام     وقد أذهلتها عوادى الغير
سواعد مشلولة فى الفضاء     تجمد فيها دعاء البشر
تمد الى الله راحاتها     وزار فى صمتها المستمر

هناك والنبع ساه حزين … كحلم تخطاه صبح الجفون
رايت الخطا يا عرايا تسير … وتنسل من اعين التائهين
وتزحف حياتها فى الدروب … لتنهش بالتيه ظل السكون
وتبذر فيه عواء الرياح … وتسقى اعاصيرها بالجنون

بقايا من الذل فى كل ارض … يحركها التيه انى يشاء
ويدفعها البغى فى راحتيه … ظلاما يهين الخطا فى الفضاء
تنصل منها تراب الوجود … ولم يبق فيها لخطو رجاء
فكيف استبدت بقايا الحظوظ … فالقت بها فوق ارض الضياء !!

تلاقت شرائمها عند سفح … تزمجر لعنتها فى حماه
وتجار فيه دوالى الكروم … وتعصر نيرانها للسقاه
ويصفى لها جبل كم صفت … لمرى النبوات يوما ذراه
تنفس من دنس الواغلين … لهيبا الى النار يهوى لظاه ..

تلفت من غمرات الظلام … ومن عاره فى جبين الوجود
فابصرت فجرا عنيد الضياء … تزمجر اضواؤه بالرعود
وتزحف راياته بالدماء … لتجرف بالهول كل الحدود
وتغسل بالنور ما لوثته … خطا التائهين بارض الجدود ..

غدا يزار الليل من حولهم … ويرتد فيهم ضلال السنين
ويكتسح الفجر ايامهم … بيوم يكبر العائدين
وتخفق بالنصر هالاته … على كل درب سقاه الانين ..
فلسطين لحان شروق الصباح … ودوى اذانك للزاحفين !!

محمود حسن اسماعيل



# استقامة الدعوة في الإسلام

بقلم: محمد عبد الغني حسن

من غريب أمر المذاهب والنحل الملتوية انها لا تسلك فى الدعوة اليها مسلكا سليما ، ولا تتبع طريقا مستقيما ، ولكنها تحاول وتحتال ، وتميل وتداور ، وتغمغم ولاتصرح ، وتزوق الكلام ولاتفصح واختر أى نحلة مهما اختلفت أسماؤها ، وتنوعت ألقابها : ما بين قرامطة وخرمية ، ومحمرة وبابكية ، وباطنية وغيرهـا تجد انهم فى سبيل دعوتهم لا يتخذون الدعاة الا من صنف معين ، ولايدعون للمذهب الا عن طريق الغموض والابهام ، لا عن طريق الحق والالهام ، ويتخذون من المسالك لدعوتهم كل خفى السبيل ، مبهم الدليل ٠ ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا للدعوة حيلا يحتالون بها على عقول الناس ، وأفهام العوام ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويموهون الصدق بالكذب ، ويخلطون الضياء والضباب ٠٠ ولم تخف هذه الحيل والأضاليل على حذاق العلماء من المسلمين الذين فضحوا أمرهم ، واظهروا باطنهم ، وكشفوا سترهم حتى لا يقع الناس فى حبائلهم ، ولا ينقادوا الى بريق دعوتهم ٠

واعجب ما قرأت من أمر هؤلاء الدعاة الدهاة ، والفجرة المكرة ، أن لهم مذهبا فى ( التدليس ) يدخلون به على البسطاء والدهماء ، بل قد يدخلون به على غيرهم ممن يظنون فيهم سهولة الانقياد ، وبلوغ المراد ، وسلامة الاصطياد ٠٠٠ ! ومن تعاليمهم أنهم قد يبطلون الأخذ بالمعقول اذا رأوا فى ذلك مصلحة لهم ، وقد يسفهون الأخذ بالمنقول اذا رأوا فى ذلك كسبا لدعوتهم ، فهم تارة أصحاب نص وتنزيل ، وطورا أصحاب رأى وتفكير وتأميل ٠٠٠ ومن دساتيرهم فى الدعوة الا يظهر الداعى أنه مخالف للأمة ، أو منسلخ عن الدين والملة ، حتى لا تنفر القلوب منه ، ولكنه يعتزى الى أبعد الفرق



عن المسلك المستقيم ، واطوعهم لقبول الخرافات ، ويتستر بهم ٠٠

**ومن تمويه الدعاة على فرائسهم ان يتكلف الداعى فى مدخله ، فيؤكد للمدعوين من اول الأمر ان الباطل مع الأسف ظاهر جلى ، وأن الحق دقيق بحيث لو سمعه الاكثرون لأنكروه ، ونفروا منه ، واعرضوا عنه ، ولهذا كان طلاب الحق والمنادون به قلة قليلة ، وآحادا مفردة ، من بين طلاب الجهل الذين لا يحصون عددا ٠ وبهذا المدخل الناعم يهون الداعى على المدعو ما هو بسبيل دعوته اليه من انكار العقل ، او رفض ظواهر النقل ٠**

ومن دساتير الدعاة للمذاهب الباطلة انهم يذكرون لصيدهم امثلة وأسماء ممن اعتنق دعوتهم ، وذهب مذهبهم ، ولكنهم يموهون على المدعو قائلين **ان هؤلاء المعتنقين آثروا كتمان امرهم واخفاء انفسهم و وبذلك يحرضونه على الاعتقاد بمعتقدهم** ويجرونه الى اعتناق مذهبهم مع الحرص على كتمان نفسه ، واخفاء أمره ٠ ويشترط دستور الدعوة السرية أن تكون هذه الأسماء المذكورة للاغراء والاجتذاب بعيدة عن موطن المدعو حتى لا يستطيع أن يتصل بأصحابها أو يراجعها فى أمر الدعوة ٠ كما يشترط ان تكون الدعوة بعيدة عن مقر الامام الذى يدعون اليه وعن وطنه ، فانهم لو أظهروا دعوتهم فى جواره ، لافتضح أمرهم بما يتواتر من أحواله وأخباره ٠ ولهذا تراهم

يحيطون الدعوة بالكتمان ، ويحيطون الامام المدعو بالسرية ، فلا تراه عين ، ولا يلتقي به احد ، ولا يجتمع معه خلق ، الا ما يكون من امر دعاته المقربين ، وعددهم لا يتجاوز بضعة عشر داعيا ، ينتشرون في الاقطار ، ويوزعون على الأمصار ·

وهؤلاء الدعاة يشترط فيهم ألا يطيلوا المقام بارض ، ولا المكث بمحلة ، بل يظل الواحد منهم حياته أخا سفر ، جواب ارض ، فما يكاد يحط الرحال في بلدة حتى يتركها الى غيرها ، وما يكاد يعلم له بعض الأمر في بلد حتى يهجره الى سواه ، مخافة أن ينكشف سره ، ويفتضح أمره ( فينبغي ان يحتاط في ذلك ، فيلبس على الناس امره ، ويتعرف الى كل قوم باسم وآخر ، وليغير في بعض الاوقات هيئته ولبسته ، خوف الآفات ، ليكون ذلك أبلغ في الاحتياط ) ·

**هذه حيلة واحدة من حيل كثيرة سنها دعاة المذاهب والنحل المضلة ليستروا دعوتهم ، وبالها من وسيلة دنيئة ذليلة حين يلجأ الداعي الى تغيير خلقته ، وتعديل لحيته ، وتبديل لبسته ، كأنه احد المحتالين من رجال « المقامات » الذين وصفهم بديع الزمان الهمزاني والحريري ادق وصف ··**

لا ادري كيف خطرت على بالي هذه الخاطرة وانا انهيأ لنظم قصيدة **لمجلة الرسالة** استجابة لدعوة كريمة من تحريرها بمناسبة اصدار عدد ممتاز لذكرى الهجرة ، وصلا لعادة لم نخلفها مع «**الرسالة**» منذ أن اتصلت بيننا وبينها اسباب الكتابة · وأوحت الى الخاطرة العابرة موضوع « **استقامة** الدعوة في» الاسلام ، منذ أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ·

ورأيت أن الموضوع أدق من أن يعالجه شعر ، وأكثر موضوعية وواقعية من أن يجال فيه بخيال ·· ووجدت أن الشعر قد لا يطاوع حين يأزف الوقت ، ولا يسعف حين لا يبقى على الأجل المضروب للوفاء بالقصيد الا يومان أو ثلاثة ، قد يعز فيها الالهام ، أو يصعب على الشاعر المرام ، فالتجأت من الشعر الى النثر ، ومن العاطفة الى الفكر ، ضنا وحرصا الا تصرفنا صعوبة الأداء ، عن فضل الوفاء ··

ولن نطيل الكلام في استقامة دعوة الاسلام ، فهي صريحة واضحة سليمة قويمة ، ما حاول النبي عليه السلام ولا صحبه أن يعموها بابهام ، أو يخفوها بتلبيس ·· نعم ! لقد كانت الدعوة الاسلامية في اول أمرها خفية ، ولكن كان في ذلك من وجه الحكمة ما لا يخفى · وما أمر النبي باظهار الدعوة الا بعد أن هيأ الله لها من أسباب الحماية ما يكفل قيامها جهرا · فلقدكان المسلم من السابقين الأولين اذا أراد ان يؤدي الصلاة ذهب الى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته ، خوفا من ان يتعرض له المشركون بالأذى ، ويتطاولوا عليه بالشر · وهذا سعد بن ابي وقاص ، خرج مع نفر من المسلمين يصلون في بعض الشعاب وكان المشركون من قريش يتعقبون خطواتهم ، فلما بلغوهم وهم على اهبة الوقوف بين يدي الله الواحد القهار ناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، وبادأوهم بالعدوان ، فاضطر المسلمون الى الدفاع عن أنفسهم ، واضطر سعد أن يضرب رجلا فيشجه ويدعه يتخبط في دمه ، وكان ذلك أول دم أريق في الاسلام ··

**وتشهد دار الأرقم بن ابي الأرقم بمن دخلها من النبي واصحابه في اول الدعوة مستخفين بصلواتهم وعباداتهم ، الى أن أمر الله نبيه باظهار الدين ، والجهر بالدعوة ، والمعالنة بالاسلام ·**

فالمخافتة بالعبادة والدعوة الاسلامية في أول امرها لم تتناقض مع استقامة الدعوة وصراحتها ، الا أن المسلمين الأولين رأوا أن يأخذوا بالأحوط ليتفادوا أذى الكفار · على أننا لا ننسى شجاعة ابي بكر الصديق حين دخل مع الرسول عليه السلام وصحبه دار الأرقم ليعبدوا الله ، فقد ألح أبو بكر في الظهور ، فقال له النبي : يا أبا بكر ! انا قليل ! فلم يزل به حتى خرج النبي ومن معه من الصحابة ، **وخطب فيهم ابو بكر والرسول جالس ··· ودعا أبو بكر الى رسول الله ، فكان أول خطيب دعا الى الله تعالى في الاسلام ·**

أما صراحة الدعوة الاسلامية واستقامتها فتظهر بعد نزول قوله تعالى : « **فاصدع بما تؤمر** » ،

وقوله : « **وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** » • فقد صعد النبي على « الصفا » ونادى قريشا وأخذ يعدد أفخاذها واحدا واحدا ، ثم قال : **ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني ؟ قالوا نعم ! أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد • ان الله امرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله** •

فهنا صراحة فى الدعوة واستقامة ، فلا تلبيس ولا تعمية ، ولا ابهام ولا ايهام ، ولا تضليل ولا تبديل ، ولا تغيير سحنة ، ولا تعديل هيئة ، ولا اخفاء اسم ، ولكنها صراحة تمليها الاستقامة ، والاستقامة من صفات المؤمنين الذين يقولون ربنا الله ••

ولم يكن فى دستور الدعوة الاسلامية هذه السرية المدبرة ، المخططة الغامضة المبهمة ••• فقد كان سعيد بن زيد وعثمان بن عفان يدعوان سرا ، على حين كان يعالن بالدعوة عمر ، وحمزة ، وأبو عبيدة، وسعد بن أبى وقاص وعشرات غيرهم •

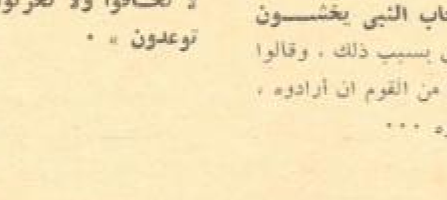
**وكان ايمان المسلمين الأولين بالله هو الذى يحملهم على المجاهرة بالدعوة ، فكان عبد الله بن مسعود أول مسلم جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله عليه السلام • وكان اصحاب النبى يخشون** عليه أن يصيبه من المشركين أذى بسبب ذلك ، وقالوا انما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم ان أرادوه ، وتحميه من المشركين ان قصدوه •••

فقال لهم ابن مسعود عليه السلام : « **دعونى فان الله سيمنعنى** »

ولم تحتج الدعوة الاسلامية فى أول انتشارها الى تدليس ولا تلبيس ولا اغراء بسعادة زائلة أو نعمة حائلة ، فقد كانت صريحة وواعدة بنعيم الله الذى لا ينفد ، وبأجره المضاعف ، وبرعايته التى لا تتخلف • فما كتب عليه السلام الى هرقل قيصر الروم أكثر من قوله – بعد الديباجة الموجزة – **اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين • وكتب فى كتابه الى المقوقس عظيم القبط فى مصر مثل هذا وزاد عليه آيات من القرآن الكريم تقول : « ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** »

هذه هى استقامة الدعوة فى الاسلام : **صراحة فى الخطاب ، وصدق فى الدعوة ، ووضوح فى الهدف ، وبساطة فى العرض ، وايمان بالله الذى ينصر من ينصره • وهذه « الاستقامة » هى التى جاءت فى القرآن الكريم بصيغ مختلفة • أمرا بها ، وتحبيبا فيها ، من مثل قوله تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » ، « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » ، « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** » •

**محمد عبد الغنى حسن**



# الروح العلمية

## عند العلماء العرب والمسلمين

بقلم قدري حافظ طوقان



يحفل التراث العربي بصفحات تدلل على الروح العلمية التي كانت تسود العلماء العرب ، والمسلمين في القرون الوسطى وقد تجلت في اخلاصهم للحق وللحقيقة وتمجيدهم للعقل والتقيد باحكامه مما دفعهم في كثير من الاحيان الى مخالفة فلاسفة اليونان وحكمائهم وتفنيد اقوالهم ونقد نظرياتهم كما ظهرت روحهم العلمية في عدم ايمانهم بالتنجيم وفي الدعوة الى ابطاله وابطال نظريات تحويل المعادن الى ذهب ، وكذلك تجلت الروح العلمية في الطرق التي سار عليها علماء الحديث في تنقية وتمييز صحيحة .

واثبتت التجارب التي اجراها جابر بن حيان وابن الهيثم والرازى وابن الصورى والبيروني وغيرهم في الطبيعة والكيمياء ان العرب قد عرفوا الطريقة العلمية الحديثة التي تعد من مبتكرات هذا العصر .

كان بعض المؤلفين العرب يسيرون في كتاباتهم على اسلوب خاص لا اطالة فيه ودون لغو او مقدمات . ففي كتاب الفهرست لابن النديم ورد النص التالي : ( والنفوس تشرئب الى النتائج دون المقدمات وترتاح الى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات .. ) وهو يأتي الى الفكرة فيعرضها دون مواربة او تمهيد .. ويندفع الى صميم الموضوع في دقة وايجاز وضبط واحكام ، ويسيطر على هذا كله روح علمية صحيحة . وهذا مايجعلنا نرى أن ابن النديم يتحرى الصدق في كتابه العظيم ويسير في امانة النقل الى ابعد الحدود . ومن يتصفح الكتاب ومقدمته يتبين له صحة ماذهبنا اليه .

وكذلك امتاز أسلوب الفارابي بالعمق والدقة ويرى كثيرون ان اهتمام الفارابي بالمنطق قد اثر في التفكير عند العرب وتقدم به خطوات فقد اعتبره آلة للفلسفة واداة يمكن الوصول بها الى التفكير السليم . وقد قال في هذا الشأن ( .. واقول لما كانت الفلسفة انما تحصل بجودة التمييز ، وكانت جودة التمييز انما تحصل بقوة الذهن على ادراك الصواب ، وكانت قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه ، وقوة الذهن انما تحصل متى كانت لنا قوة ، بها نقف على الحق انه حق بيقين فنعتقده ، وبها نقف على الباطل انه باطل بيقين فنتجنبه ، ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلانغلط فيه ، ونقف على ماهو حق في ذاته وقد اشبه بالباطل فلانغلط فيه ولانخدع ... ) ومن الطريف ان الفارابي يعتبر المنطق ( قانون التعبير بلغة العقل الانساني عند جميع الامم ) فنسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو الى اللسان والالفاظ ، ( فكل مايعطينا علم النحو من القوانين في الالفاظ فان علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات .. وعلم النحو انما يعطي تخصص الفاظ أمة ما ، وعلم المنطق يعطي قوانين مشتركة تعم الفاظ الامم كلها ) .

والفارابي مخلص للحقيقة محب لها ويدعو الى محبتها والاخلاص لها ولو خالفت مذهب أرسطو وقد جاء في كتابه

( ماينبغي ان يقدم قبل تعلم الفلسفة ) في الفصل الذى يبحث في معرفة الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذى يؤخذ عنه علم الفلسفة مايلي :

( .. واما الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذى ياخذ علم ارسطو ، فهي أن يكون في نفسه قد تقدم واصلح الاخلاق من نفسه الشهوانية كيما تكون شهوته للحق فقط لا للذة . واصلح من ذلك قوة النفس الناطقة كيما يكون ذا ارادة صحيحة واما قياس ارسطو فينبغي الا تكون محبته له في احد يحركه ذلك أن يختاره على الحق .. )

ودفعت محبة الفارابي للحق واخلاصه للحقيقة الى ان يقول بابطال صناعة التنجيم .. فخالف الكثيرين من علماء عصره والذين اتوا قبله وبعده ، وقد ابطل هذه الصناعة بحجج عقلية مشبعة بروح التهكم ووضع في ذلك رسالة سماها ( النكت فيما يصح وفيمالايصح من احكام النجوم ) وبين في هذه الرسالة فساد علم احكام النجوم الذى يعزو كل ممكن وكل خارقة الى فعل الكواكب وقراناتها .. ( ... لان الممكن متغير لايمكن معرفته معرفة يقينية .. )

وفي رسالة اخرى بين الفارابي انه من الخطا الكبير مايزعمه من ان بعض الكواكب يجلب السعادة وان بعضها يجلب النحس وانتهى الفارابي من هذا كله – كما يقول دى بور – ( بان هناك معرفة برهانية يقينية الى اكمال درجات اليقين نجدها في علم النجوم التعليمي . اما دراسة خصائص الافلاك وفعلها في الارض فلانظفر منها الا بمعرفة ظنية . ودعاوى المنجمين ونبوءاتهم لاتستحق منا الا الشك والارتياب .. )

والفارابي فوق ذلك يرى ان الفيلسوف الذى يقف عند العلوم النظرية ولايتعداها الى الجانب العملي هو فيلسوف زور وباطل لاصلة بينه وبين الحياة . فالحياة علم وعمل . ولابد للفيلسوف من ان يمتاز في عمله كما يمتاز في علمه ..

اما ابن سينا فقد سار في اسلوبه على اساس منطقي لان المنطق على رايه – ( ... الآلة العاصمة للذهن عن الخطا فيما يتصوره ونصدق به ، والموصلة الى الاعتقاد الحق باعطاءاسبابه ونهج سبله ... )

وفوق ذلك فاسلوبه علمي دقيق يتجلى هذا في تعريفه الحكمة وتقسيمها جاعلا المنطق آلة لها فعلى اصوله سار وعلى قواعده اعتمد في بحثه ودرسه .

ان انغماس ابن سينا في الحياة وتعرضه لتقلباتها واندماجه في صميم مجتمعه ورحلاته المتعددة – كل ذلك اثر في آرائه ونظريته فجعل في فلسفته مسحة من العملية – وكانت اميل الى الناحية العقلية منها الى الناحية الروحية الصوفية .

كان ابن سينا يقدس العقل ويرى فيه اعلى قوى النفس والعقل يقاوم الوقوف ويعمل على الارتقاء ويقوى النفس . ولهذا قال ابن سينا بسلطان العقل . وقد تغلب هذا السلطان على سلطان الروح حتى انه يرى في العقل سبيلا الى الوصول الى الملكوت .

وخالف ابن سينا ارسطو وافلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان في كثير من النظريات والآراء فلم يتقيد بها بل اخذ منها ماوافق مزاجه وانسجم مع تفكيره وزاد عليه . وقال ان الفلاسفة يصيبون ويخطئون كسائر الناس . وهم ليسوا معصومين عن الزلل والخطا .

ولاشك في ان موقف ابن سينا هذا يدل على شجاعته ونزعته الى الاستقلال في الرأى ورغبته في التحرر العقلي فهو لايتقيد باراء من سبقه ، بل يبحث فيها ويدرسها ويعمل فيها العقل والمنطق والخبرات التي اكتسبها فان اوصلته هذه كلها الى تلك الآراء اخذ بها ، وان اوصلته الى غير ذلك نبذها وبين فسادها .

وجعل ابن سينا للتجربة مكانا عظيما في دراسته وتجرباته ولجا اليها في طبه . وتوصل عن طريقها الى ملاحظات دقيقة كما توفق الى تشخيص بعض الامراض وتقرير علاجها .

ولهذا لاعجب اذا رايناه يحارب التنجيم . وقد وضع في ذلك رسالة بعنوان ( رسالة في ابطال احكام النجوم ) اوضح فيها ان ما قاله المنجمون من سعود الكواكب ونحوسها باطل ... ( ليس على شيء مما وصفوه دليل ولا يشهد على صحته قياس ... ) وبين كذلك في رسالته بطلان الاصول التي وضعها المنجمون وفساد ما بنوا عليه . ويذهب ابن سينا الى ان قول المنجمين من اثر الكواكب على الناس من خير وشر هو قول هراء: ( .. قد اخذوه تقليدا من غير برهان ولاقياس ... )

ولم يقف عند ذلك بل فند هذه الاقوال وغيرها في احكام النجوم واثرها على الناس وسفه ماتضمنته هذه من آراء وبيانات ونظريات وناقشها وبين فسادها وبطلانها بالدليل والبرهان .. ولجا الى المنطق فاستعان به ليدلل على صحة ماذهب اليه .

وكذلك حارب ابن سينا بعض نواحي الكيمياء بحجج العقل وحده فخالف معاصريه ومن تقدموه فيما يختص بامكان تحويل الفلزات الخسيسة الى الذهب والفضة .. ونفى امكان احداث هذا التحويل في جوهر الفلزات ( ... لان لكل منها تركيبا خاصا لايمكن ان يتغير بطرق التحويل المعروفة .. ) وانما المستطاع تغير ظاهرى في شكل الفلز وصورته . واحتاط ابن سينا فقال ( ... وقد يصل هذا التغيير حدا من الاتقان يظن معه ان الفلز قد تحول بالفعل وبجوهره الى غيره ... )

وتجلى سلطان العقل عند ابن سينا وروحه العلمية في رايه في الخوارق .. ويذهب في تعليله لها الى اسباب وامور تجري على قانون طبيعي يتصل بالجسم والنفس والعقل .. كما يتجلى سلطان العقل في شرحه معنى العناية الالهية . فهو - بعد ان تامل في نظام العالم - ادرك ان صانعه مدبر حكيم عالم بما هو عليه هذا الوجود من نظام الخير والكمال ... وهذا في رايه معنى العناية الالهية فالظواهر الطبيعية انما تحدث حسب القوانين الطبيعية في العالم على اتق ما يمكن .. ( .. وليس معناها الاهتمام بالافراد والشعوب .. )

والانسان في نظر ابن سينا يقترب من الكمال اذا اتسعت معرفته بالوجود وادرك حقائق العالم واستغرق في تفهمها . ولايتم ذلك الا عن طريق الارادة والعقل . وعلى الرغم من تقديس ابن سينا للعقل ومن ايمانه بسلطانه الا انه في مواضع كثيرة يؤكد نقص العقل الانساني - وهذا النقص يجعله في حاجة الىالقوانين المنطقية . ولهذا ترى ابن سينا قد اعتبر المنطق من الابواب التي يدخل فيها الفلسفة كما انها الموصل الى الاعتقاد الحق .

وابن سينا يميل الى التجدد والتحرر . يدلنا على ذلك قوله : ( .. حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء.. وقد ان لنا ان نضع فلسفة خاصة بنا ... )

ومن علماء العرب من سار في اسلوبه على اساس التوفيق بين الشريعة والفلسفة كابن رشد وهو الذي يعتد بالنظر العقلي . وقد غالى في هذا الاعتداد الى درجة جعلته يجيز مخالفةالاجماع وفي كتابه ( تهافت التهافت ) نراه يحث بقوة على معرفة الحق لصاحبه وشكره من اجله وعلى وجوب نبذ الهوى والتعصب بغير حق فذلك اجمل بالانسان وادعى الى الانصاف . وهو يحاول دائما تفسير المعجزات والنبوة تفسيرا يطابق العقل والوحي . ولقد اطلع (بيكون) على مؤلفات ابن رشد ودرسها دراسة عميقة واستفاد منها فوائد جليلة كان لها اثر كبير في نتاجه واتجاهات فكره وكان معجبا بابن رشد اعجابا دفعه الى الاعتراف ( ... بان ابن رشد فيلسوف متين متعمق صحح كثيرا من اغلاط الفكر واضاف الى ثمرات العقول ثروة لايستغنى عنها بسواها .. وادرك كثيرا مالم يكن قبله معلوما لاحد ، وازال الغموض من كثير من الكتب التي يتناولها بحثه ... )

واشتهر ابن رشد بالنقد . وكان اثره بالغا عند اليهود والمسيحيين فقد نقد شروح اسكندر فردوس والفسطيوس . وكذلك نقد ابن سينا وهاجمه ورد على الفارابي والغزالي . وكان شديدا في نقده ورده قاسي اللهجة . ولكن القلم سما به في هذا الى اعلى درجات الكمال الفكري .

لقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها . وكان من حسناتها ان حلت عقال الفكر الاوروبي وفتحت امامه ابواب البحث والمناقشة على مصاريعها . وعلى ذلك لم يكن من المستغرب ان يعجب مفكرو القرون الوسطى بشروح ابن رشد واصابة ارائه. وهكذا نشا مذهب الرشدية للاخذ بالعقل عند البحث وعدم الاعتماد على الروايات الدينية .

كان ابن رشد مخلصا للحق الى ابعد الحدود ، يسعى الى الحقيقة ويعمل جاهدا على الوصول اليها والاخذ بها دون اعتبار القائل او الدين . وكان يدعو الى قبول الاراء الصحيحة سواء من مسلم او غير مسلم . فقال في هذا الشان في كتابه ( فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ) :

( .. يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك . وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا او غير مشارك في الملة . فان الالة التي تصح بها التزكية ليس يعتبر في صحة التزكية بها كونها الة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك في نظر هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام. واذا كان الامر هكذا وكان كل مايحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحص عند القدماء اتم فحص ، فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك . فان كان صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه .. )

ويقول ابن رشد في موضع اخر :

( .. يجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب مااقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك البتوه في كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وماكان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم ... )

ويرى كثير من الفلاسفة واعيان الفكر ان فلسفة ابن رشد تركت اكبر الاثر في اوروبا واخرجتها من ظلمات التقليد الى نور العقل والفكر . ولهذا نجدهم يضعونه مع افلاطون وارسطو وكانت في صف واحد في الفلسفة العقلية . ويتبين من الاراءالتي بثها في كتبه انه كان بعيدا عن التصوف ، يتقيد بالعقل ولايسير الا على هداه . وكان من ذلك ان اصطدم بوجهة النظر الدينية في بعض المسائل فنشا عداء بينه وبين رجال الدين ادى الى اضطهاده في اواخر ايام حياته .

ومن اساليب العرب مايمتاز بطابع الاخلاص للحق والحقيقة والدعوة الى ذلك والى جعل البرهان دليلا شاهدا وان سر البلاغة يقع في الصدق ، وان الصدق اساس النبوغ . ولقد تضمنت بعض الرسائل القديمة نصائح وارشادات الى الكتاب ليسيروا عليها حين الكتابة هي في الواقع الاساس الذي يجب ان يسلكه اصحاب الاقلام في كل زمان .

ومن الطريف ان الدعوة الى الانصاف والى الحق والصدق والمعرفة كانت تدخل في مقدمات الكتب القديمة . جاء في اول كتاب الرسالة العذراء لابراهيم بن المدبر مايلي : ( ... فتق الله بالحكمة ذهنك وشرح بها صدرك وانطق بالحق لسانك وشرف به بيانك .. )

وابتدا الجاحظ كتابه الشهير (الحيوان) بمايلي : (..جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت وزين في عينيك الانصاف واذاقك حلاوة التقوى ، واشعر قلبك عز الحق واودع صدرك البر واليقين ، وطرد عنك ذل الياس وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من القلة .. )

وفي مقدمة كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي مايدل على الاخلاص باجلى عبارة : ( .. نسال الله بجلاله الموفي على كل نهاية ، وجوده المجاوز كل غاية ان يفيض علينا انوار الهداية ، ويقبض عنا ظلمات الضلال والغواية ، وان يجعلنا ممن راى الحق حقا فاثر اتباعه واقتفاءه ، وراى الباطل باطلا فاختار اجتنابه .. )

وفي كتاب معيار العلم في فن المنطق للغزالي ورد النص التالي في المقدمة : ( اللهم ارنا الحق حقا ووفقنا الى اتباعه ، وارنا الباطل باطلا واعنا على اجتنابه .. )

ومن هذه المقدمات والنصوص الكثيرة التي وردت في كتب الغزالي من الذين اخلصوا للحقيقة ومن المتعطشين الى ادراك الحقائق حتى انه جعل التعطش للحقيقة دابه وديدنه من اول امره ، وريعان عمره .

وفي سبيل الحقيقة درس اكثر فروع المعرفة في ايامه وامتلك ناصيتها واحاط بدقائقها ، وكان في دراساته ومطالعاته يبحث عن الحقيقة ومخلصا لها ، ولقد جعل الغزالي اول شرائط البحث عن الحقيقة ( ... ان يكون الباحث ذا عقل مستقل تماما ، فالحقيقة لا يمكن الوصول اليها الا من طريق روح بحث حر مختار ... )

ولهذا لا عجب اذا رايناه يحارب التقليد الاعمى ويقاومه ويحمل على المقلدين ، وقد ندد في جميع اعماله وبحوثه بالتفكير ( المرسوم بالتبعية والتقليد ... )

وكان ينصح باعمال العقل واتباع ( منهج من البحث الحر غير المتحيز ) ، وقد بلغ من حرصه على ذلك ان يختم كتابه ( معيار العلم في فن المنطق ) بدعوة القارىء الى ان ينظر فيه ويتامله ( بعين العقل لا بعين التقليد ) .

وفي كتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى يقول الكندي ( .. ان اعلى الصناعات منزلة واشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان لان غرض الفيلسوف في علمه اصابة الحق وفي عمله العمل بالحق .. ) وفي تعريف الفلسفة يقول الكندي: ( .. ان الفلسفة هي علم الاشياء بحقائقها لان كل شيء له حقيقة وان في معرفة الحق كمال الانسان وتمامه .. )

وتتجلى معرفة الكندي لقدر الحق وقيمة الحق فيما ورد في بعض رسائله من اراء واقوال ، فقال في هذا الصدد : ( ... وينبغي لنا ان لا نستحي من الحق واقتناء الحق من اين اتى ، وان اتى من الاجناس القاصية عنا والامم المباينة لنا ، فانه لا شيء اولى لطالب الحق من الحق ، وليس ينبغي بخس الحق ولا تصغير بقائله ولا بالاتي به . ولا احد بخس بالحق ، بل كل يشرفه الحق .. )

وقال ابن الهيثم في مقدمة كتابه ( المناظر ) بان غرضه في جميع ما يستقريه ويتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، وانه يتحرى في سائر ما يميزه وينتقده طلب الحق لا الميل مع الاراء حتى يظفر بالحقيقة ويصل الى اليقين .

وقد بين ابن الهيثم ان من الغايات التي توخاها من تصنيف الكتب والرسائل افادة من يطلب الحق ويؤثره في حياته وبعد مماته .

وفوق ذلك يتجلى لنا من مصنفاته انه كان متواضعا منصفا دفعه اخلاصه للحق الى الاعتراف بالفضل لذويه وتقدير العلماء السابقين حق التقدير .

وقد ذكر البيهقي ان ابن الهيثم قال : ( .. اذا وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه الى نفسك واكتف باستفادتك منه ... )

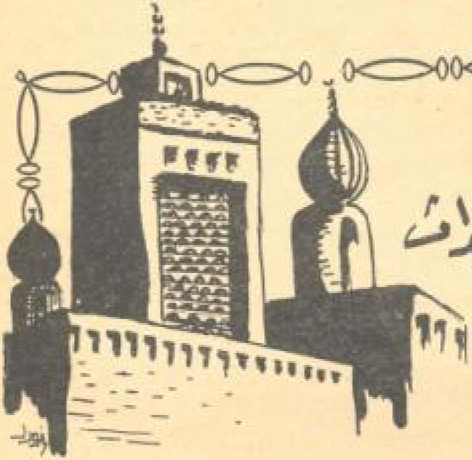
ولابن الهيثم اراء فلسفية ادخل فيها شؤون الدنيا والدين، وقد جعل علم الحق وعال العدل نتيجة للفلسفة . وهنا نراه يخالف راى الفلاسفة الاسلاميين الذين سبقوه او الذين اتوا بعده ( ... فانهم يجعلون علم الحق وعمل العدل شركة بين الفلسفة والدين على نحو يختلف تفصيله باختلاف الفلاسفة ... )

ويقول ابن الهيثم في هذا الشان :

( ... اني لم ازل منذ عهد الصبا مرويا في اعتقادات الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الراى ، فكنت متشككا في جميعه موقنا بان الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه . فكلما كملت لادراك الامور العقلية انقطعت الى طلب معدن الحق ... فخضت لذلك ضروب الاراء والاعتقادات وانواع علوم الديانات فلم احظ من شيء منها بطائل ولا عرفت منه للحق منهجا ولا الى الراى اليقيني مسلكا جددا ، فرايت اني لا اصل الى الحق الا من اراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية ، فلم اجد ذلك الا فيما قرر ارسطوطاليس .. فلما تبينت ذلك افرغت وسعي في طلب علوم الفلسفة ... )

قدري حافظ طوقان

البقية في العدد القادم



# قصة الهجرة من خلال الأحداث

بقلم عبد الرحيم فوده



١ – كانت الهجرة فكرة في خيال النبي صلى الله عليه وسلم منذ أول عهده بالوحي والنبوة ، ولكنه لم يكن يدرى متى يؤمر بها أو يدعى اليها ، ولم يكن يعلم المكان الذى سيشرفه الله بالانتقال اليه والاقامة فيه ، ونستطيع أن نستشف ذلك بوضوح من حديث ورقة بن نوفل حينما ذهبت به «خديجة» اليه ليقص عليه نبأ ماتلقاه في غار حراء ، فقد قال له ورقة بعد أن سمع منه ماكان بينه وبين جبريل: هذا الناموس الذى نزله الله على موسى ، يا ليتنى فيها جزعا ، ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ٠٠٠ ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي ، وأن يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ، فمن ذلك نفهم أنه – صلى الله عليه وسلم – علم بالهجرة منذ علم بانه نبى ، وان لم يصل علمه بها الى درجة من الايمان واليقين، اما زمانها ومكانها فلم يتحدث اليه أحد بواحد منهما ، بل ان لنا ان نعتقد أنه عليه السلام – لم يكن يعلم متى ولا اين تكون الهجرة حتى رأى فى المنام مارواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم : رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة الى ارض بها نخل ، فذهب وهلى أنها اليمامة او هجر فاذا هى المدينة يثرب ، وقد روى البيهقى عن صهيب أنه – صلى الله عليه وسلم – قال : اريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى مرتين ، فاما ان تكون هجر أو يثرب ، وأخرج الترمذى والحاكم عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان الله أوحى الى اى هؤلاء الثلاثة نزلت هى دار هجرتك ٠ المدينة او البحرين أو قنسرين ٠ وزاد الحاكم فاختار المدينة ، ويؤخذ من مجموع هذه الاحاديث – مع مالأخذ على الاخير من ذكر قنسرين لبعدها فى بلاد الشام – أنه – عليه السلام – لم يكن يعلم بالمكان الذى سينتقل اليه الا قبيل البدء فى الهجرة ٠

٢ – ونعود الى الاحداث نستلهمها التوجيه فى متابعة أنباء الهجرة ٠ فنجد بيعة العقبة – الاولى والثانية والثالثة – تكشف أمامنا الاتجاه ٠ وتضع أمام أعيننا الهدف ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب ، ويتحين فرصة الموســم من كل عام ليلتقى بالحجيج فى منازلهم بعكاظ ٠ والمجنة ٠ وذى المجاز ، ويعرض عليهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فيعرضوا عنه٠ بل يردون عليه بالاذى ويقولون : قومك أعلم بك ، ثم لقى رهطا من أهل المدينة عند العقبة ٠ فوجد فيهم اصغاء اليه ٠ واقبالا عليه ٠ واستجابة له ، وأسلم منهم ستة من الخزرج ، ثم عاهدوه على أن يمنعوا ظهره ، ولكنهم ذكروا له ماكان بينهم وبين الأوس من الخلاف ومن الحرب يوم « بعاث »

وقالوا : ان تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا اجتماع عليك ، فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يجمعهم عليك ؛ فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم المقبل .

ثم انصرفوا الى المدينة . وعادوا فى الموعد المحدد وقد زاد عددهم فكانوا اثنى عشر رجلا بينهم اثنان أو ثلاثة من الأوس . فبايعهم النبى صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية وبعث معهم مصعب بن عمير الى المدينة ليقرئهم القرآن . ويعلمهم الاسلام . ويفقههم فى الدين ، فكان سببا فى دخول اشراف أهل المدينة فى الاسلام ، وبذلك كثر عدد المسلمين فى يثرب الى درجة انه لم تبق بها دار الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات اذا استثنينا بطونا قليلة من الأوس تأخرت قليلا عن اعتناق الاسلام ..

ولما حان موعد الموسم الأخير قدم الى مكة مصعب ابن عمير ومعه عدد كبير من المسلمين ، فأرسلوا الى النبى يواعدونه على اللقاء عند العقبة ، ثم خرجوا اليه من رحالهم بعد انقضاء ثلث الليل الأول ( يتسللون تسلل القطا مستخفين ) حتى اجتمعوا به فى الشعب .

٣ ــ كل هذه الظواهر والقرائن والمقدمات تشير الى أن الهجرة كانت نتيجة طبيعية ولم تكن عملا مرتجلا يثيره الفزع والجزع ويدفع اليه الخوف من الموت أو الحرص على الحياة ، وهذه الظواهر والقرائن تشير كذلك الى أن المدينة كانت دار الهجرة المنتظرة منذ كانت بيعة العقبة الاولى ، وأن الاحاديث التى ذكرناها عن الرؤيا المنامية فيما يتصل بدار الهجرة كانت قبل التقـــاء النبى بهــؤلاء الذين شرح الله صدورهم للاســـلام من اهل المدينة ، وقد صدقت الرؤيا ، واتفقت الاوصاف المرئية فى المنـــام مع الواقع المشــهور فى اليقظة ، فأمر صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة ، ولم يكن اسبقهم اليها كما يفعل الخائفون ، بل بقى فى مكة حتى غادرها المسلمون جميعا الا من اعتقلهم المشركون من الضعفاء كرها ، وأبقى معه عليا وابا بكر ليؤدى كل منهما الدور الذى ينتظره ، وظل ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مكة ينتظر ان يؤذن له فى الخروج حتى كانت المؤامرة التى يشير اليها قول الله : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فقد هال رجال قريش أن يروا لمحمد صلى الله عليه وسلم انصارا من غيرهم ، وساورهم الخوف أن يتصل بهم ثم يعـــود لحربهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة ليديروا فيهم الرأى فيما يصنعون به ، فمن قائل نحبسه فى الحديد ثم نغلق عليه الباب . ثم نتربص به ما أصاب أشباهه ، ومن قائل نخرجه من بين أظهرنا . وننفيه من بلادنا . ثم لا نبالى أين يذهب ، ثم اتفق الجميع على رأى أبى جهل ، وهو أن يؤخذ من كل قبيلة فتى شاب جلد نهد ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يعمد هؤلاء اليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يقتل ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربها جميعها .

٤ ــ كان هذا هو تقديرهم وتدبيرهم ، وكان تقدير الله وتدبيره فوق تقديرهم وتدبيرهم فاطلع نبيه على مابيتوه له ، ولـــما اقبل الليل ونشر رداء سواده على دور مكة . اقبل هؤلاء الفتيان الأشداء المختارون على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتجمعـــوا امام بابه يرصدونه وينتظرون خروجه ليثبوا عليه ويقتلوه ، ورآهم النبى صـــلى الله عليه وسلم . فأمر عليا رضى الله عنه أن ينام على فراشه وأن يتشـــح ببرده الأخضر ، ثم خرج اليهم وقد اعماهم الله بالنوم فنثر على رءوسهم التراب . وتلا ــ كما يذكر أصحاب السير والتفسير ــ قوله تعالى : « وجعلنـــا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون » .

وبقى هـــؤلاء المتربصـــون ينتظرون خروجه ، وينظرون من خلال الباب الى النائم فى برده فيظنونه اياه ، حتى اقبل عليهم واحد ممن لم يكونوا معهم فقال : ما تنتظرون ههنا .. ؟ قالوا : محمدا ، قال قد خيبكم الله ، قد ــ والله ــ خرج محمد عليكم ، ثم ماترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، وأسرع كل منهم فوضع يده على رأسه فاذا عليه تراب .

وطار النبأ الى جميع ارجاء مكة فاهتزت له جوانبها وقامت له قريش وقعدت ، ثم ارسلت الرسل فى طلبه ــ عليه السلام ــ واقتفاء اثره فى كل جهة ، وجعلت لمن يأتى به حيا او ميتا مائة ناقة ، واسرع النبى مع صاحبه أبى بكر الى غار ثور فدخلاه واقاما فيه ، وأخذ عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يريـــح

عليهما غنمه ليطمس آثار أقدامهما ويوافيهما بما يحتاجان اليه ، وحملت أسماء بنت أبي بكر الزاد اليهما في الغار ، أما عبـــد الله بن أبي بكر فكان يتسمع لهما مايقال عنهما بمكة ثم يأتيهما بما يلتقط من أنباء ، ثم جاء رجال قريش الى الغار وأحدقوا به واقتربوا من بابه ، ونظر اليهم أبو بكر ونفسه تكاد تذهب كمدا حزنا فقال : يارسول الله لو نظر أحدهم الى قدميه لرآنا تحت قدميه ، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم أجابه في لهجة الواثق المطمئن الى نصر الله : لا تحزن ان الله معنا ، وبهذه الكلمة المؤمنة المطمئنة صور ـ عليه السلام قلبه الكبير ادق تصوير ، وعبر عما كان يشعر به من ايمان واطمئنان أصدق تعبير ، ثم كان مايذكره القرآن اذ يقول الله فيه « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » ٠

فأدبروا ووجوه الارض تلعنهـــم
كباطل من جـــلال الحق منهزم

٥ ـ لم تكن هجرة النبي صلى الله عليـــه وسلم ـ كما قلت في بعض ماكتبت ـ استجابة لشعور بضعف أو خوف ، فقد رأى الدنيا كلها تتحداه ٠٠ وتتألب عليه ، حتى أوشك عمه أن يتخلى عنه ، ورأى في حديثه اليه ماكان يشعر به من قلق واشـــفاق عليه وعلى أهله معه فقـــال قولته المشـــهورة : ياعم ٠ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ٠

ولم تكن هجرته ـ عليه السلام ـ ضيقا بأرض تحمل فيها من ألوان ابلاء والعناد ماتنوء بحمـــله الجبال ، فقد أعلن عن حبه لها ، وتعلقه بها حين غادرها مهاجرا الى المدينة ٠ وقال في ذلك : والله انك لأحب أرض الله الى ، وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت منك ٠

ولم تكن هجرته ـ عليه السلام ـ التماسا لواحة يجد فيهـــا برد الراحة ، فقد كان يعلم أنه يترك المشركين في مكة ليواجههم مع اليهود والمنافقين في المدينة ، وفيما حول المدينـــة ، ثم في كل مكان تشتعل فيه الحرب بين الكفر والايمان ٠

لم تكن هجرته ـ عليه السلام ـ لشيء من الشعور بالخوف أو الضعف ، أو الضيق بمكة والامل في الراحة والدعة بالمدينة ، وانما كانت لحكمة كبرى تفسرها كل الاحداث التي وقعت بعدها ، فكل ما أحرزه الاسلام من قوة وازدهار ٠ وانتصار بعـــد الهجرة هو التفسير الكبير للحكمة من الهجرة ، وكل مايقال عن الاسباب المعقولة للهجرة لايخرج عن معنى قوله تعالى : «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»٠

٦ ـ أما عظمة المهـــاجرين فيكفي أن نذكر من مظاهرها موقف صهيب الرومي من قريش حين تجمع رجالها حوله ليحولوا بينه وبين الهجرة ، فقد قالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ٠ ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ٠٠ ؟ قالوا نعم ، قال فاني قد جعلت لكم مالي ، فتركوه وتركهم حتى قدم الى المدينة فسمع رسول الله يقول له : ربح بيعك ٠٠ ربح بيعك ٠٠ ربح بيعك ٠٠ أما موقف عمر فأشهر من أن يذكر ، واني لأتمثله ، وقد تقلد سيفه ٠٠ وتنكب قوسه ، واختصر عنزته ثم مضى الى الكعبة وطاف بها ، ثم وقف على الملأ من قريش بفنائهـــا يصك اسماعهم بقوله : شاهت الوجوه ، لايرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ٠

أتمثله في هذا الموقف وهو يهم بالهجرة على الرغم منهم ، فأرى صورة أولئك الذين يصفهم شـــوقي بقوله :

لو لم يســـودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينـــا

٧ ـ أما بعد فقـــد كانت الهجرة مبدأ التاريخ الاسلامي لأنها أعظم أحداث التاريخ كله ، وان المحرم مبدأ العام الهجري لانه كان مبدأ هجرة المسلمين الى المدينة ، **ولان العزم على الهجرة** كان فيه ، أما هجرته صلى الله عليه وسلم فكانت في ربيع الاول ، واذا كان المقام لايتسع لتفصيل فان جلال ذكرى الهجرة فوق كل تفصيل ٠

**عبد الرحيم فودة**



# الرّكبُ المقدسّ

للشاعر: محمود غنيم

اى ركب دب فى جوف الفلاة  يقتفى التاريخ فى شوق خطاه ؟
تحت جنح الليل يسرى خفية  فى سبيل الله والحق سراه
يقطع الليل مسيرا فاذا  وشت الشمس به القى عصاه
وقريش خلفه لا هثة  تسال الركبان عنه والمشاة
فكان البرق فى خطفته  اعين شزراء ودت لو تراه
وكان الطود فى اطراقه  سامع تنصت منه اذناه
وكان الرمل يحصى خطوه  وكان النجم من بعض الوشاة
غير ان الركب يمضى ثابتا  وشعاراه اتئاد واناة
ويقين بالذى يحرسه  من يلذ بالله لم يخش سواه
فى سبيل الله يمشى آمنا  كيف يخشى وهو يمشي فى حماه ؟
قلة لكنها فى عزمة  لا قليل ذرعها او منتهاه
ما نجوم الليل ان قيست بها  مارمال البيد ما قطر المياه ؟
عز من قوته ايمانه  ارايتم مؤمنا خارت قواه ؟
لا دروع سابغات لا قنا  مشرعات لا سيوف منتضاة
قوة الايمان تغنى ربها  عن غرار السيف او شن القناة

***

ومن الايمان امن وارف  ومن التقوى حصون التقاة
ركب طه وابى بكر سرى  فى حواشي الليل فانجاب دجاه
ما اهتدى بالنجم فى جنح الدجى  بل سرى النجم لعمرى فى سناه
آه لو تعرف اطباق الثرى  من اقلت ارضها الصماء آه ؟
لو درت من حملته لتمت  قدميه حين تخطو قدماه
واستحالت جنة وارفة  من نخيل يانع دان جناه
لودرى المزن به ظلله  من هجير يشتكى الضب لظاه
وهما ماء عليه باردا  وحميما فوق من يبغى اذاه
لودرى القفر بمن يجتازه  ضج بالتسبيح والذكر حصاه
لودرى الدوح بمن مر به  لحنى الدوح له شم الجباه
لودرى الوحش به ما نفرت  ظبية منه ولا فرت مهاة
لودرى الطير به ما اجفلت  منه ورقاء ولا ريعت قطاة

***

من هو الركب ؟ نبى مرسل  وحوارى تهدى بهداه
رجلاه بهما الدار نبت  فغزا العالم طرا رجلاه
ومشي التاريخ من خلفهما  مرهف الآذان ترنو مقلتاه

فى يديه لوحه ما همسا     همسة الا وخطتها يداه
ان يكن هاجر منها كارها     فغدا يأتى على راس الغزاة
وغدا يشعلها بيضاء فى     بلد جار عليه ونفاه
وغدا يعفو ولو شاء غدا     كل مكى غريقا فى دماه
وغدا يجنى رءوسا اينعت     فى القصاص العدل للناس حياة
ومن العفو ضرار واذى     ومن العفو عقاب للجناة

***

حل ركب المصطفى فى يثرب     كيف لا والله يرعى من رعاه ؟
رحبت يثرب بل القت على     اذن الدهر هتافا فوعاه
«طلع البدر » نشيد خالد     كلما ردده الدهر شجاه
بشر الشرك بموت عاجل     ايها الشرك دنا يوم الوفاة
ايها الانصار هذا يومكم     ياسيوف الله فى حرب الطغاة
اذكرى يابدر ما شاهدته     من جنود الله فى حرب عداه
واحك يا ايوان كسرى للورى     ذلك البرج المعلى من محاه ؟
وارو يايرموك ماذا صنعت     برءوس الروم اسياف الكماة

***

يا طريدا ملأ الدنيا اسمه     وغدا لحنا على كل الشفاه
وغدت سيرته انشودة     يتلقاها رواة عن رواة
ليت شعرى هل درى من طاردوا     عابدوا اللات واتباع مناة ؟
هل درت من طاردته امة     هبل معبودها شاهت وشاه ؟
طاردت فى الغار من بواها     مقعدا لا يبلغ النجم مداه
طاردت فى البيد من شاد لها     دينه فى الارض جاها اى جاه
سؤدد عالى الذرا ماشاده     قيصر يوما ولا كسرى بناه
ورأى التاريخ ما اذهله     فانثنى من دهشة يفغر فاه
هاله فتح ترامى افقه     واذان ردد الكون صداه
ومحاريب بشرق الارض او     غربها تشدو بتكبير الاله
يهرع الناس اليها زمرا     كلما نادى المنادى للصلاة
اى دين ذلك الدين الذى     حول الافكار عن كل اتجاه
صهر الانفس حتى لم تعد     تدرك الانفس شيئا ماعداه
كم اب خاصم فى الله ابنه     واخ حارب فى الله اخاه
باسمه امسي يسوس الارض من     يحلب النوق ومن يرعى الشياه
ويجوب البحر من لم يره     غير طيف من خيال فى كراه
ناشرا من فوقه اعلامه     تفزع العقبان منها والبزاة

***

لم يكن طه لعمرى ساحرا     يخرق العادات او يتلو رقاه
كل ما جاء به من معجز     سحر الالباب قرآن تلاه
مرسل نال باى الذكر ما     لم ينل من قبل موسي بعصاه
وحد العرب وكانوا بددا     كهشيم النبت من شاء رعاه
قوة كامنة اخرجها     مثلما يخرج طلع من نواة
فاذا التيجان تهوى واذا     برعاة الابل للدنيا رعاة

محمود غنيم

# بين مسلم و مسيحي في قصة مصرية





**بقلم عباس خضر**

جرى الأمر في الاسلام – تشريعا وتاريخا – أن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب ولا سيما المسيحيين، علاقة أخوة ومودة وتعايش وتعاون .

**فالشريعة السمحاء قالت : لهم من الحقوق مالنا ، وعليهم من الواجبات والتبعات ما علينا .**

وكان مدار التعايش السلمي على أن لكل عبادته وشعائره يؤديها كما يشاء في حرية كاملة ، **تقوم الكنيسة كما يقوم الجامع ، وتدق الأجراس كما يرتفع صوت المؤذن ، لا ينكر أحد على أحد شيئا من أمر دينه وعبادته .**

**أما المعاملات والعلاقات الدنيوية فهي موحدة بين الجميع ، تجرى احكامها على الفريقين كما تجرى احكام الدستور والقانون على أفراد مجتمع يسوده العدل والحرية والاخاء .**

والواقع التاريخي ينطق بأن المجتمع الاسلامي في مختلف العصور والبلدان لم يعرف فرقة أو نزاعا جماعيا بين المسلمين والمسيحيين ، فان حدث شيء فردي فسرعان ما يستنكره المجتمع من الفريقين ، ويعود المنحرفان عن الجادة الى الطريق المستقيم .

عرفنا في تاريخنا كثيرا من المسيحيين الذين برزوا في نواح مختلفة كالأدب والشعر والعلم والطب ، وكان لهم قدر واعتبار كأمثالهم من المسلمين ، وكان الخلفاء يقربونهم ويولونهم ماهم له أهل من عناية ورعاية ، ويسندون اليهم ما يناسبهم من الأعمال والمناصب .

**وعرفنا في تاريخنا المصرى خاصة ماكان من تعاون وتكتل قومى رائع بين المسلمين والمسيحيين ضد الغزو الصليبي الذى خرج على روح المسيحية السمحة المسالمة ، على نحو ما جلاه في تصوير أدبي جميل الاخ يعقوب الشاروني في مسرحيته « أبطال بلدنا » التي كافأه عليها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وقد جرى صراعها المسرحي على الدفاع عن المنصورة وانتهى بنصر المصريين وأسر لويس التاسع .**

وامتد ذلك التكتل القومي بين مسلمي مصر ومسيحييها الى العصر الحديث في مقاومة الاستعمار سليل الصليبية العمياء ، وبلغ قمته في ثورة ١٩١٩ التي صهرت كل طوائف المجتمع المصري وجميع طبقاته في بوتقة الوطنية الحارة الصادقة ، وأخرجت من الجميع مركبا صلدا لايعرف العنصرية ولا يعتريه التفكك .

بعد تلك المقدمة – التي هي في الحقيقة لب الموضوع – **نسوق واقعة** قصصية ضمنها الكاتب المصري المسيحي « عيسى عبيد » قصة من قصصه التي كتبها في أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ .

وقد صور عيسى عبيد ما حدث بين تاجرين أحدهما مسلم والآخر مسيحي ، في خلال الثورة ، تصويرا يقوم على مذهب جديد في الأدب كان قد أخذ فيه – دعوة وتطبيقا – هو وأنداده من الكتاب الذين أخذوا على عواتقهم أن ينشئوا فنا قصصيا في الأدب العربي الحديث .

ذلك المذهب هو ما سمي بعد ذلك في العربية بالمذهب الواقعي ، وكانوا هم يطلقون عليه « **مذهب الحقائق** » مقابل كلمة « الريالزم » الاجنبية .

يقوم « مذهب الحقائق » كما يقول عيسى عبيد « **على دعامة الملاحظة والتحليل النفسي الراميين الى تصوير الحياة كما هي بلا مبالغة أو تقصير أي الحياة العارية المجردة** » ويعلل ذلك بأن للتصوير الصادق أثرا بالغا في نفس القارىء ، لانه يجعله يشعر

بصحة الرواية المأخوذة عن الحيـاة وبحقيقة وجرد الشخصيات المصورة •

وكان يرمى مذهب الحقائق الى ما يعبر عنه عيسى عبيد بقوله « **على أننا فى ابان نهضة كبيرة اوجدتها حركتنا الوطنية ، ومن شان النهضة أن تحدث عادة انقلابا فى العــادات والتقــاليد وتغيرا فى الميول والافكار ، وقد ظهر اثر ذلك فى كتابة كثير من كتاب الناشــئة الجديدة** » الى ان يقول عن هؤلاء الكتاب الناشئين انهم « **متطلعون الى آداب جديدة** تضـارع **الآداب الغربية بالصفة العلمية والطريقة التحليلية والمرامى الفنية ، وهذا مما يثلج صــدورنا ويفعم نفوسنا بالأمل الكبير من نجاح قصصنا ورواياتنـا العصرية المصرية ، لأن غايتنا منها ايجاد أدب مصرى موســوم بطابع شــخصيتنا المصرية ويمثل حياتنـا الاجتماعية والنفسية والوطنية** » •

وطبقا لتلك الأسس ـ من حيث السياق الواقعى الصادق ومن حيث القصد الى أدب يعبر عن الشخصية المصرية ـ صور لنا الكاتب ما حدث بين المســلم والمسيحى هذا التصوير الدقيق المطابق للواقع فى خلال الانتفاضة الوطنية ، الرامى الى الهدف العظيم **هــدف التكتل والتعاون والتواد بين عنصرى الأمة الثائرة على قيود الاستعمار** •

القصة عنوانهـا « **مذكرات حكمت هانم** » وهى آخر قصة فى مجموعة «احسان هانم» ـ تقول **البطلة فى احدى مذكراتها بتاريخ اول ابريل سنة ١٩١٩ :**

**وقع شــجار هائل بين المعلم مسيحة والشيخ عبد ربه ، فقد انفجرت مرة أخرى بشــكل مريع ، تلك العــداوة القديمة ، عداوة الحرفة والمنافســة المستحكمة بين هذين البائعين ، واشترك فى الشجار افراد عائلة كل منهما ، حتى ســالت الدماء • وانجلت المعركة عن اصابة الشيخ عبد ربه بجرح بليغ فى رأسه من حجر رمى به ، وبكسر ضرسين من فك المعلم مسيحة من أثر ضربة « روسية »** •

**وكان قد خاف العقلاء من تجار الحى والجيران نتيجة عداوة هــذين الرجلين المتباينين فى الدين ، لئــلا ينسب أعداؤنا عداوتهمــا الى التعصب الدينى ، فتدخلوا بينهمــا مرارا لحسم النزاع وحملهما على المصافحة ، الا أنهم فى كل مرة كانوا يصطدمون بقوة عنادهما الغبى وما وضعه كل منهما شرطا للصلح** •

فقــد كان التاجر المســلم يطلب مصرا أن ينقل المعلم مسيحة حانوته الى حى آخر ، بحجة أنه يأخذ منه عملاءه ويذيع عنه اشاعات مضرة بسمعته ورواج بضاعته •

وكان التاجر القبطى يطلب عين الطلب لأقدميته • وكلاهما يرى فى قبول هذا الشرط ثلما لكرامته •

وأدى شجارهما فى هذه المرة الى تدخل البوليس، ففتح لهما محضرا •

**وفى مذكرة اخرى بتاريخ ٧ ابريل كتبت حكمت هانم : أصــبحنا اليوم واذ بحركة غير عادية فى الشوارع ، شاهدت اناسا مختلفى السحن والأزياء يسيرون زرافات وجماعات ، تدل سيماهم على الفرح والسرور** يحمــلون من الأعــلام المصرية مختلف الاحجام ، وكنت أسمع أصوات هتافات بعيدة صادرة بلا شــك من جوف المدينــة ، وعبثا حاولت معرفة ما يهتفون به ، واذا بجمــاعة من الطلبة أخذوا فى حينا يسيرون صفوفا منتظمة متراصة متتــابعة ، **يسير فى مقدمتهم واحد منهم يحمل علمــا مصريا كبيرا رسم عليه الصليب يعانق الهلال ، وكتب تحت هذا الرمز الوطنى « يحيا الاستقلال التام »** •

وتقول حكمت هانم بعد ذلك انهــا خرجت مع صاحباتها فى مظاهرة نسائية •• الى أن تقول :

**وما كدنا نصل الى الشارع حتى استرعى نظرنا منظر مؤثر للغاية ، فقد رأينا الشيخ عبد ربه يعانق المعلم مسيحة قائلا بنشوة فرح اختلجت لها عضلاته : نحن اخوة يا معلم مسيحة ، لا يحق لنا أن نتشاجر ، ورأينا القبطى يقبله ويضمه الى صدره كأنه يعانق أخا له لم يره منذ سنين عديدة** •

واجتمع حولهما جمع غفير يصفق لهذه العواطف الوطنية المتجلية بأبهى مظاهرها والمثيرة فى النفس نشــوة طرب واعجاب • وكان القوم يهتفون بكل ما فيهم من قوة : **يحيا الاتحاد** •

التفت عندئذ الى رفيقاتى فوجدت الدمع يترقرق فى أعينهن الطاهرة •

حتى فى النكسة الوطنية التى حدثت بعد ذلك وتمثلت فى الصراع بين الأحزاب والتكالب على الحكم والنفوذ واقتناء الثروات •• حتى فى هذا تعـاون العنصران •• فكنــا نراهما فى كل حزب مترابطين متعاونين •• على الخير وعلى الشر !

**وبعد: فان الاسلام الذى يحرر هذا العدد الممتاز من « الرســالة » لابراز مواقفه ومثله وقيمه ـ انما تتم صورته الاجتماعية بتجلية روحه العظيمة التى ضمت بين أحضانهــا العنصرين فى مجتمع واحد متكافل ، يعمل العنصران فيه باعتبارهمــا عنصرا واحدا لا انفصام له ولا تمايز فيه** •

**عباس خضر**



# احتفال الفاطميين بالعام الهجرى

بقلم حسن عبد الوهاب



الاحتفال بذكرى الهجرة من أعياد الاسلام ، فقد روى الفاكهى أن عمر بن الخطاب كان يصيح فى أهل مكة ويقول :

**« يا أهل مكة اوقدوا ليلة هلال المحرم فاوضحوا فجاجكم لحاج بيت الله ، واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا » .**

وهو من أعياد مصر الاسلامية التى وضع أسسها وقواعدها خلفاء الدولة الفاطمية منذ أكثر من الف عام ، تلك الدولة التى كانت أيام حكمها مواسم وأعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الخلافة وطرب الشعب ، وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية بمصر حتى الآن مدين بظهوره الى هذه الدولة .

كان خلفاء هذه الدولة يحتفلون بموسم رأس السنة **( ليلة المحرم ) وبموسم أول العام ( أول المحرم ) ويتخذون أهبة الاستعداد لهذين الاحتفالين من العشر الأخير من شهر ذى الحجة فتصدر التعليمات الى رؤساء خزائن الأسلحة والمجوهرات والملابس ، والركائب والموسيقى باعداد ما يلزم للاحتفال بهذا اليوم . وفى الوقت نفسه تكون دار الضرب جارية سك النقود بتاريخ العام الجديد «وتعرف بنقود الغرة» لتوزيعها فى أول العام .**

وفى اليوم الأخير من السنة يستعرض الخليفة تجربة الاحتفال فيجلس فى شرفة القصر الكبير ويستعرض موكب الاحتفال بكامل هيئته ، ويسمى يوم عرض الخيل ، ثم يستقبل كبار رجال الدولة والعلماء والقضاء فيفتتح الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم كما يختم بتلاوته .

فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض هذا الاستعراض تعرض عليه الملابس والجواهر التى يلبسها يوم الاحتفال وتكون عادة بيضاء موشحة مع شدة الوقار والدرة اليتيمة وما حولها من جواهر وياقوت .

**ثم يذاع على سكان مصر والقاهرة برنامج مرور الموكب منذ خروجه من القصر الى عودته اليه . فلا يصبح أول العام الا اجتمع أهل مصر والقاهرة حكومة وشعبا للمشاركة فى هذا الاحتفال .**

فاذا حلت ليلة رأس السنة تكون مطابخ القصر أعدت عددا كبيرا من الخراف المشوية من جفان اللبن والخبز وأنواع الحلوى لتوزيعها كما توزع الصدقات على الفقراء فيعم الخير سائر الناس من سكان مصر والقاهرة .

**موكب الاحتفال بأول العام :**

فى هذا اليوم يخرج الخليفة من القصر راكبا بملابسه وجواهره ومظلته وأعلامه وحوله خاصته وكبار موظفى الدولة وقادة الجيش وحاملو المظلة . فاذا أهل من باب القصر نفخ جندى فى بوق من ذهب معوج الرأس فتليه بقية الأبواق ايذانا بتحرك الموكب وتنشر المظلة ويسير الموكب من داخل القصر فيخرج الخليفة راكبا فرسه ماشية على بسط خشية أن تنزلق على الرخام ، ويسير الموكب وحول الخليفة الأعلام الحريرية وقد كتب عليها «نصر من الله وفتح قريب» ، تتقدمة الموسيقى والجنود ما بين مشاة وركبان على

خيولهم المطهمة بأنواع الحـــرير الملون والمزخـرف وأطواق الذهب والفضة • ويشترك فى هذا الاحتفال رجال الأسـطول •

**فى هـذا اليوم يشترك تجار وسـكان القاهرة ومصر فى هذا الاحتفال فيزينون حوانيتهم ودورهم ويصطفون على جانبى طريق مرور الموكب •**

ويتولى الاشراف على تنسيق هذا الموكب ومروره والى القاهرة ، ويظل الموكب سـائرا من القصر الى باب النصر ثم ينعطف مع سور القاهرة الى باب الفتوح فيدخل منه قاصدا القصر حيث يكون مقدم المهرجان مصطفا على جانبى الطريق فيمر الخليفة بينهم حتى يدخل القصر فيوزع نقـود الغرة المضروبة بتاريخ العام الجديد من دنانير ورباعيات وقراريط ، وتبلغ نحو ثلاثة آلاف دينار •

**ثم توزع الأطعمة ما بين خراف مشـوية وزبادى طعام وقوالب حلوى وخبز وقاتيل حلوى وارز بلبن•**

**هـذا عـدا الموائد التى تمد بالقصر فيعم الخير والصدقات جميع الناس •**

وقد ظل الاحتفال بذكرى الهجرة موضع العناية من الحكومات المتعاقبـة على حكم مصر • وفيه تعطل مصالح الحكومة ومعاهـدها وتضـاء المنارات وتقام الحفلات وتتبادل التهانى •

وقديما اهتم الشعراء بنظم أبيات من الشـــعر شطرها الأخير يتضمن السنة الجديدة بحساب الجمل

**ومن ذلك ما انشده الشيخ محمد شـهاب الدين شاعر مصر فى القرن التاسع عشر ، فى سنة ١٢٧١هـ**

**والعـام وافانا عموما بالمنى**
**اذ ارخـوه به المسرة اقبلت**

**وانشد أيضا فى سنة ١٢٧٢ هجرية :**

**سمح الدهر بالتصـافى ووالى**
**فى لياليـــه بالمنى والأمـان**

**والتهـانى نادتك ان قل وارخ**
**جاد ربى بعـام خـير الزمان**

ومن قصيدة لشـــاعر القطرين المغفور له خليل مطران القاها فى الاحتفال برأس ســنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ مطلعها :

**هل الهـلال فحيوا طالع العيد**
**حيوا البشير بتحقيق المواعيـد**

ومنها :

**عانى محمد ما عانى بهجـرته**
**لمـأرب فى سـبيل الله محمود**

**كم غزاة وكم حـرب تجشـمها**
**حتى يعـود بتمكين وتاييـد**

**كذا الحياة جهـاد والجهـاد على**
**قدر الحياة ومن فادى بها فودى**

ومنها :

**أبناء مصر عليكم واجب جلل**
**لبعث مجد قديم العهـد مفقود**

**فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم**
**ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيـد**

وختامها :

**بدا الفلاح وفى هذا الهلال لكم**
**بشرى التمام لوقت غير محدود**

**حسن عبد الوهاب**



# تراثنا العربى والإسلامى فى المسرح

بقلم عبد الفتاح البارودى



ماذا يمنع المؤلفين والفنانين من استلهام تراثنا وتاريخنا فى اعمال فنية ضخمة؟! الم يعثروا فى تراثنا كله وتاريخنا كله على موضوع واحد يصلح لتكييفه فنيا او تفسير ، او اعادة صياغته او تقديمه فى مسرحيات وافلام وتمثيليات اذاعية وتليفزيونية واوبريتات وسيمفونيات .. الخ ؟!.



ان مؤلفى وفنانى الغرب تناولوا ولايزالون يتناولون تراثهم تناولا فنيا فى صور متعددة ، حتى ليخيل الينا انه لم يبق فيه موضوع واحد لم يتحول الى عمل فنى ، فلماذا لم نفعل مثلهم ؟! هذه مشكلة فنية تحتاج الى بحث عميق ، لاننا اذا كنا فى الماضى لم نمارس هذه الفنون ، فاننا الآن نمارسها ، ومن اللازم أن يشترك المفكرون المتخصصون فى مواجهة هذه المشكلة كضرورة فنية .

**ولا اريد ان اتعرض للبحوث التى تناقشها مناقشة جدلية ، او التى تدور حولها ولا تنفذ اليها ، او التى تثيرها باساليب روتينية ، وتحصرها بتزمت شديد فى الخلاف ـ مثلا ـ حول تصوير او تجسيد الشخصيات الدينية ، فهذه وما اليها قضايا وان كان من اللازم مناقشتها الا انها قضايا فرعية ، وانما المشكلة الرئيسية هى : لماذا لم نحاول ممارسة عملية الاستلهام الفنى ؟! افرض ان من المتعذر او حتى من المستحيل تجسيد بعض الشخصيات الدينية ، فلماذا لم نتناول غيرها من الشخصيات ؟ ولماذا لم نفكر فى تناول الاحداث نفسها ؟!**

المدهش ان فى تراثنا وتاريخنا موضوعات فى غاية الخصوبة والدسومة والغنى الفنى .. وانا لا احكم بهذا بلا دليل .. راجع انتاج ادباء وفنانى الغرب وستجد بسهولة ان كثيرين منهم استلهموا هذه الموضوعات التى هى بالطبع موضوعاتنا ، وكان خليقا بنا ان نستلهمها .. فمثلا فولتير وزملاؤه اتجهوا الى بيئتنا ووجدوا فى احداثها وشخصياتها مادة حولوها الى قصص ، والعجيب اننا لم نفعل مثلهم ، وكل ما فعلناه هو اننا بدانا نترجم هذه القصص الى لغتنا ، مع ان المادة الأصلية من عندنا .. أيضا فى الموسيقى نجد ان رمسكى كورساكوف وزملاؤه اتجهوا الى بيئتنا ووجدوا فيها مادة حولوها الى اعمال موسيقية كبيرة ، والعجيب اننا لم نحاول تقديم اعمال مماثلة ، ولا نزال للآن ننظر الى اعمالهم وكانها طلاسم او معجزات .. وهكذا فى المسرح والاوبرا والاوبريت ومختلف الفنون ... كيف وصلوا الى هذا المستوى الذى سمح لهم بخلق اعمال فنية مستلهمة من تراثنا وتاريخنا ؟ ولماذا عجزنا نحن عن مجاراتهم فى هذه المجالات الفنية ؟!

لكى نصل الى الحقيقة يجب ان نكتشف اسباب هذا العجز .. ان البحث المقارن هو اسهل الطرق وانفعها فى تحديد معالم هذه المشكلة ... قارن بين مصادرهم ومصادرنا بصفة عامة ... ستجد عندهم مثلا ان مؤلفات بلوتارك فى التاريخ كانت مادة

للروائيين والمسرحيين .. ونحن عرفنا هذه المؤلفات، وايضا عندنا مؤلفات مماثلة ، ومهما يكن التفاوت بينها او مهما تختلف في قيمتها فانها مصادر تصلح للاستلهام، ولكن ليس لدينا او لم يكن لدينا مؤلفون او روائيون او مسرحيون .. والأساطير والملاحم والغزوات والحروب وجدوا فيها مادة غنية للفن وحولوها الى اعمال فنية ضخمة، وما زالوا يجدون فيها مادة فنية للآن . فهل اجدبت بيئتنا من الأساطير والملاحم والغزوات؟! ان غزوات الاسكندر استلهمها راسين في مسرحياته ، وحروب طروادة والأحداث التي سجلها هوميروس في الالياذة الهمت كل مؤلفي الاغريق وحولوها الى تراجيديات هي للآن اروع ما عرفه المسرح من تراجيديات ، وهي للآن دليل عبقرية اسكيلوس وسوفوكليس ويوريبيديز ، ومن بعدهم استمرت هذه المصادر مادة فنية لكبار المؤلفين .. فمثلا قصة « الكترا » التي تناولها هؤلاء الثلاثة العظام في المسرح الاغريقي العريق، تناولها في المسرح الحديث سارتر وجان جيرودو ويوجين اونيل، بل ان السينمائيين تناولوها في فيلم سينمائي شاهدناه منذ وقت قريب .. وقصص اوديب واورست واجاممنون واندروماك ، وكل قصص الالياذة ، ومختلف الاساطير والملاحم وسائر المصادر التي استلهمها الفنان القديم لا يزال يستلهمها الفنان الحديث بتفكير جديد ورؤية فلسفية جديدة ، ليس في المسرح فقط بل في مختلف الفنون .. فمثلا في الموسيقى كانت هذه المصادر نفسها وغيرها مصادر موسيقية ، ولا تزال كذلك .. لماذا لم نفعل ذلك في اساطيرنا وملاحمنا ؟

**ان لدينا المادة ، ولكن لم يولد في بيئتنا امثال سوفوكليس في العصر القديم ، او امثال راسين ، او امثال سارتر في العصر الحديث.. وطبعا لا اقصد بالميلاد ميلاد الاشخاص ، بل ميلاد او تكوين التفكير الفني .. جائز ان نفترض ان هناك فوارق بين مصادرهم ومصادرنا ...** جائز ان نفترض ان مصادرهم اكثر ايحاء فنيا من مصادرنا ، وهذه من الناحية العلمية نقطة تستحق البحث المقارن ، لولا ان هناك مصادر مشتركة استلهموها في الفن ولم نستلهمها .. لماذا ؟ لنبدأ البحث بمحاولة الاجابة على هذا السؤال ، لان المقارنة هنا يمكن ان تكون اكثر وضوحا واكثر دلالة .. نبتعد عن تراثهم وعن المصادر المرتبطة اصلا ببيئتهم ، وناخذ امثلة من المصادر المرتبطة ببيئتنا.. خذ مثلا القصص الدينية .. طبعا لا جدال في انها نشأت اصلا – كلها بلا استثناء – في بيئتنا ، فلماذا تناولوها فنيا ولم نتناولها ؟!

**ان قصة نوح استمد منها المسرحيون روايات كثيرة ، وآخرها رواية ظهرت منذ ثلاث سنوات على المسرح الانجليزي باسم « سفينة نوح » ، ومع ان مؤلف هذه الرواية قدم فيها تفسيرات جديدة، الا ان التناول الفني للفكرة نفسها بدا ظهوره منذ حوالي ٨٠٠ سنة ، عندما بدات القصص الدينية تنتقل من الكنيسة الى خارجها ، اى عندما بدا يظهر المسرح الديني ، ويمثل هذه القصص في اداء فني كان بدائيا اول الامر ثم اخذ يتطور وينمو تدريجيا حتى اكتملت عناصره الفنية ...** فمثلا قصة نوح بدا تمثيلها في « حوار » وبملابس معينة قصد بها ابراز ملامح الشخصيات، فكانت شخصية زوجة نوح تظهر في ملابس تساعد على توضيح معالم هذه الشخصية .. وكانت القصة تمثل امام الجمهور في صورة مناقشة حوارية بين نوح وزوجته لتوضيح موقف كل منهما من الآخر ، وتبدا المناقشة بان يدعوها الى الانضمام الى سفينته ، ولكنها ترفض وتقول له انها لن تغادر مكانها واهلها ، وان اهلها لن يغرقوا ، وان عليه هو ان يبقى معهم ، او يقلع بسفينته حيثما يشاء ويبحث عن زوجة جديدة !! وهنا يتغير المشهد ويدور الحوار بين نوح وابنه ، ويقول له نوح ان امه غاضبة ، ويرسله اليها ليعيد عليها دعوة نوح لها للانضمام الى السفينة ... ويتغير المشهد مرة اخرى ، ويتغير الحوار ... وهكذا .

هذه المسرحية القصيرة المبسطة سجلها «الاراديس نيكول» في كتابه « الدراما الانجليزية » ، ولست الآن بصدد مناقشة تفاصيلها ، وانما اذكرها كمثل يوضح كيف استلهم فنان العصور الوسطى مثل هذه القصص وحولها الى رواية فيها الحوار المسرحي والصراع والاداء المسرحي بشكل مبسط وارتجالي ..

ان معظم القصص الدينية عولجت بهذا الشكل ، وتطورت هذه المعالجة من المرحلة البدائية الى

المرحلة الناضجة بالتدريج ، وبمواصلة الممارسة الفنية ، ونتيجة لذلك دخلت فيها عناصر التعبير الفني والاداء الفني ، وشيئا فشيئا ظهر الفنان الذى استلهم من هذه الموضوعات موضوعات فنية ، وبالتدريج نما الحوار واغتنى وتعددت الوانه ، وتضخم العرض الفني فتكون الممثل ، وتضخم الاحساس الفني فتكون الجمهور المسرحي، وهكذا كانت هذه القصص من المواد الاساسية لتكوين المسرح الديني ، وكان هذا المسرح من اهم اسس المسرح الأوروبي الذى انتقل من معالجة الموضوعات الدينية الى معالجة موضوعات ومشكلات الحياة ، وانما المهم - في بحثنا هذا - ان التناول الفني للموضوعات الدينية خلق « الرؤية الفنية »

**واذن فالسؤال هو : لماذا لم تظهر « الرؤية الفنية » عندنا ؟** ان استقصاء اسباب عدم ظهورها يؤدى بنا الى معالجة هذه الأسباب ٠٠ وفعلا حاول كثيرون من المفكرين استقصاءها ولكننا لم نصل بعد الى معرفة حقيقة هذه المشكلة ، ومن واجبنا ان نواصل البحث ، ليس لمجرد معرفة اسباب عدم ظهورالرؤيةالفنية في بيئتنا،بل أيضا لاحتياجنا الى هذه الرؤية الآن بعد ان اصبحنا نمارس المسرح وماتولد منه وتفرع عليه من فنون.. وامامنا شواهد ثابتة نستطيع أن نبدا البحث منها ٠٠ امامنا - مثلا - مؤلفات ارسطو .. اننا في الماضي ترجمنا بعض هذه المؤلفات ، واهمها بالنسبة لموضوعنا كتاب الخطابة وكتاب الشعر .. والغريب هنا انفلاسفة العرب فهموا وشرحوا كتاب الخطابة، ولكنهمعجزوا عن فهم كتاب الشعر ، ولهذا لم يتأثر به الفن العربي ، رغم انه اهم المراجع التى جمعت وفسرت قواعد فن المسرح .. ان مجرد فهم هذا الكتاب لا يخلق الرؤية الفنية ، ولكن عدم فهمه يدل - على الاقل - على اختلاف المفهومات الفنية بيننا وبين الأوروبيين ، ليس لأنهم أوروبيون ، بل لأنهم يمارسون الفنون المسرحية ، ويقيمون مسرحهمعلى اساس قواعد ارسطو والقواعد التى تطورت منها.

**ولكن هل فهم قواعد ارسطو يحل مشكلتنا ؟ ابدا ٠٠ ان فهمها ضرورة فنية ، ولكن الأهم هو تغيير مفهوماتنا الفنية بحيث تتوفر لدينا « الرؤية الفنية » ونصبح قادرين على التناول الفني لتراثنا وأحداث تاريخنا وأحداث حياتنا ...** ولقد حاولنا فعلا بعد أن نقل المسرح الى بيئتنا ان نستلهم تراثنا وتاريخنا ، وفعلا ظهرت محاولات اشترك فيها كثيرون من شعرائنا وادبائنا مثل شوقى وعزيز اباظه ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وباكثير ، وشهد مسرحنا روايات عن الحجاج وصقر قريش ومجنون ليلى والحاكم بامر الله ومضحك الخليفة، وكذلك شهد مسرحنا روايات عن احداث اسلامية وأحداث تاريخية ، بل اننا في هذا الموسم بالذات شاهدنا اعمالا مسرحية مستوحاة من التراث الأدبي وقدمت باسم « حلاق بغداد » ، بل اكثر من هذا اننا بدانا نشهد افلاما سينمائية مستوحاة من الأحداث الاسلامية والتاريخ الاسلامي ، مثل الفيلم الذى اعد من كتاب الدكتور طه حسين ( الوعد الحق ) وعرض منذ سنوات ، ومثل الفيلم الذىظهر في هذا الموسم بعنوان « هجرة الرسول » ، وكذلك ظهرت اعمال اذاعية مثل محاولات محمد علىماهر، واعمال تليفزيونيةفىصورة تمثيليات لرشاد حجازى وغيره من المؤلفين .. ان كل هذه المحاولات المتفاوتة في قيمتها الفنية تدل على اننا بدانا نستلهم تراثنا وتاريخنا استلهاما فنيا ، ولكن بعضها محاولات خطابية أو غير ناضجة ، ولا تزال بصفة عامة في حاجة الى تصحيح المفهومات الفنية ، وتعميق الرؤية الفنية ، وفهم علاقة التاريخ بالفن ، وعلاقة الشعر بالمسرح ، ومعرفة الشعر كتعبير درامى ، وخلق الاحساس الدرامى

**عندئذ نستطيع ان نضيف الى المحاولات الجيدة محاولات اكثر عمقا وادق فنا ، لنستلهم تراثنا وتاريخنا استلهاما اكثر خبرة ٠٠ ان قصة الهجرة وما فيها من كفاح وايمان ومعان انسانية ، وقصص كفاح المسلمين وانتصاراتهم ، ثم الغزوات والملاحم والأحداث التى يحفل بها تاريخنا ، والأبطال الشعبيون ، ومؤلفات الأدباء ٠٠ الخ ٠٠ في كل هذا مادة غنية جدا يمكن أن تستلهم وتتحول الىقصص ومسرحيات واوبرات واوبريتات واعمال فنية والحان موسيقية وعروض فنية شعبية ٠٠٠ لدينا المادة ، ولكن أين الفنانون واين المفكرون ؟!**

عبد الفتاح البارودى

# المعانى الحيّة فى الهجرة

بقلم: محمد عبد الله السمان





**لا يختلف** اثنان فى ان الهجرة كانت نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، دعت اليها كل ظروفها وأحوالها ، هذه الظروف والأحوال التى أكدت انه لا استقرار للدعوة فى تربة قاحلة كتربة مكة ، ولا اطمئنان لهـا فى عقليات كعقليات اهلهـا ، تملكتها تقـاليد موروثة لا تمت الى المنطق السـليم بصلة ، وسيطرت عليها مئات السنين وثنية حمقاء رانت على القلوب حتى أضلتها ، وغشيت البصـائر حتى أعمتها ، وتكاثفت على النفوس حتى أفسدتها ·

**ان** طبيعـة الدعوة أن تنتشر لا أن تحتجز ، وأن تغزو آفاقا جديدة ترحب بها ، لا أن يحجر عليها فى بيئة ضيقة تضيق بهـا ، **والسنوات** التى أربت على العشر ، والتى قضتهـا الدعوة بمكة ، كانت بمثابة تجربة ، اقتصر النجاح فيهـا على اعداد فئـة قليلة للايمان بها ايمانا راسخا لم يعرف الوهن فى أحلك ظروف البطش والطغيان ، ولم يتطرق اليـه اليأس فى أعنف حالات التنكيل والارهاب ، **هـذه** الفئـة القليلة التى لم تكن سوى خليط من الرقيق الغرباء والمستضعفين ، وان استطاعت أن تحفظ على الدعوة قوتها بايمانها وصبرها وطاقة احتمالها ، **الا** انهـا لم تكن متكافئة مع قوى الشر فى عنفوان جبروتها ، وأعلى مراحل عنادها ، ولذلك ظل الصراع فى الفترة المكية بين الـكفر والايمان صراعا فى المبادىء ، ولو قدر للدعوة أن تصر على البقاء فى مكة ، لاحتاجت الى عشرات السنين فى كفاح متواصل مر ، ونضال دائب مستمر ، حتى تتمكن من ايجـاد قوة مادية تصـون بقاءها ، وتذود عن كيانها ، **ولو** كان هدف الدعوة الاسلامية يقف عند حد اصلاح النفوس ، وهدى العقول فى مكة وما حولها، واجلاء الوثنية عن أرضها لتحل مكانها الوحدانية الصافية ، لاستوى لدى هذه الدعوة السنوات المعدودة ، والقرون الطويلة ، ولما كان للزمن شأن فى حسابها ·

**ولكن** هدف الدعوة الاسلامية شيء أكبر من هذا، انها دعوة تهدف **الى** اقامة أمة موحدة على الحق ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، **والى** تأسيس دولة ذات شأن ترتفع بالانسانية الى المستوى اللائق بها ، تنشر الخير فى سائر البقاع ليعيش مع الانسانية جنبا الى جنب ، **ودعوة** هـذا هدفها ، لا بد لهـا من مرحلة تحول وانطلاق ، حتى لو كان الأمل كبيرا فى أن تؤمن مكة بأسرها ، وأن تذل لهـا رقاب سادتها وكبرائها ·

**ومن** الخطأ أن نفهم أن الهجرة كانت فـكرة طارئة نباتا وتنفيـذا ، **كيف ذلك ؟** وفـكرتها رسخت فى الأذهان منـذ السنة الخامسـة من المبعث ، والسنة الثـانية من اظهـار الدعوة ، حيث اذن الرسـول ـ صلوات الله عليـه ـ لبعض أصحابه بالهجرة الى أرض الحبشة ، لأن بها ملكا لا يضيع الحق عنده،وكان أن هاجر أحد عشر رجلا وأربع نسوة،ومعهم عثمان ابن عفان وزوجه رقية بنت الرسول نفسه ، ثم أذن بعد اربع سـنوات أخرى بالهجرة الى أرض الحبشة

أيضا لثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة ، ولم تكن الهجرتان الى الحبشة الا ارهاصا لهجرة كبرى أعم وأشمل ، وامتحانا للفئة المؤمنة فى أعز شىء لديها بعد الايمان وهو الوطن .

**وعندما** نضجت الفكرة واستوت اتجهت الأنظار الى يثرب ، وقد كانت كل الدلائل ترشحها لتكون مهجرا للدعوة ، ومركزا للدولة الناشئة ، ودار أمن للعقيدة الجديدة ، **فبعض** من اهلها التقى بالرسول ـ وقد نفض يديه من مكة ـ فى بيعة العقبة الأولى وفد مكون من ستة نفر ، وفى بيعة العقبة الثانية وفد مكون من اثنى عشر رجلا ، وفى بيعة العقبة الثالثة والأخيرة وفد مكون من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين هما : **ام عمارة نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدى** ، واقام الرسول على هذا الوفد الأخير اثنى عشر نقيبا ، ثم اذن بعد ذلك لمؤمنى مكة بالهجرة الى يثرب ، بعد أن غرس الايمان فى تربتها ، وبعث مصعب بن عمير ليتولى هناك أمر الايمان والمؤمنين .

**فهل لقائل بعد ذلك ان يقول** : ان الهجرة وثيقة فرار أو جبن أو ضعف ؟ الا اذا كان هذا القائل ليس مستعدا لأن يعى ما يقول ..

**ان** بين الاذن بالهجرة للمؤمنين من مكة الى يثرب، وبين هجرة الرسول زهاء عام بأكمله ، وينتقض ازاء ذلك أن الهجرة كانت وثبة مفاجئة لقريش التى فشلت محاولاتها فى أن تعوق خط السير للهجرة خلال عام ، فالهجرة نقطة تحول اتسم بطابع السرعة فى تدبر وروية ، ولكن لا ننكر أن هجرة الرسول وصاحبه كانت مفاجأة ، وأى عيب فى أن تحاط القيادة بالسرية التامة ؟

***

**لقد** تمت خطة الهجرة بنجاح تام ، وكان نجاحها **بداية** استقرار للدعوة الاسلامية ودولتها ، **ومرحلة** بناء لاستقلال شخصيتها ، **فعلينا** ان نتلمس من ذكرى الهجرة المعانى الحية العظيمة ، التى تشهد بأسمى المبادىء وأروع القيم ، هذه لمعانى الحية العظيمة تفوق الحصر ، ولا يتسع المجال الا للقطات سريعة تكون بمثابة مشاعل على طريق الهجرة .

**فالرسول** ـ صلوات الله عليه ـ يأذن لأتباعه أولا بالهجرة ، مؤثرا اياهم بالسلامة على نفسه ، فى ظروف حالكة كانت مهيأة لأن يحدث فيها أى شىء ، حتى اذا اطمأن على أتباعه تتوق الى الهجرة ، ولم يبق بمكة غيره وأبو بكر ، وعلى والا من اعتقله المشركون كرها .

**والرسول** يترك عليا فى مكة ، ليؤدى عنه مهمة ذات شأن ، وهى ايصال الودائع الى ذويها ، وجدير بشخصية عظيمة كرسول الله ألا تنسيها هذه الظروف المضطربة ـ ترعى للأمانة حقها .

**وعندما** اعد أبو بكر راحلتين : احداهما له والأخرى للرسول ، يأبى الرسول الا أن يدفع لأبى بكر ثمن الراحلة التى أعدها له ، لان الهجرة قربى الى الله ، ارادها الرسول خالصة له، ليس لأحد عليه فيها فضل الا الله .

**وسراقة بن مالك** ، يلاحق الرسول وأبا بكر بعد خروجهما من مكة ، مؤجرا من قريش ليقبض عليهما ، وشاءت ارادة الله أن يفشل سراقة مرات ، وفى كل مرة يسأل الرسول ان يدعو الله له بالخلاص مما أصابه ، حتى اذا استجاب الله له عاد الى غدره من جديد ، والرسول فى هذا الجو المشحون بالقلق يتسع صدره لألاعيب سراقة ومناوراته ، حتى هدى الله سراقة فأسلم .

**وحين** يصل الرسول المدينة يفكر فى أمرين خطيرين : **الأول** موادعة من بالمدينة من يهود، ليكسب للدعوة جوا مناسبا من الهدوء ، **والآخر** ، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ليضع اللبنات الأولى فى وحدة الايمان ، التى فاقت وحدة الدم والنسب ، حيث كان المتآخون يتوارثون بهذا الاخاء ارثا مقدما على القرابة فى بادىء الأمر ، حتى اذا بلغت أخوة الايمان أشدها نزلت آية الميراث لتعود الى الرحم مكانتها .

**وبعد** ـ فان كثيرا ممن يتناولون حادث الهجرة ، يشغفون أحيانا بسرد ما روى من خوارق فيه ، ويتوهمون أنهم يطربون الاسماع بهذه الخوارق : أمثال نسج العنكبوت وبيض الحمام على باب الغار ، وفرس سراقة حين ساخت قوائمه فى الأرض الصلبة وهو يتعقب الرسول وصاحبه ، وشاة أم معبد حين در لبنها ، وينسى هؤلاء أن مثل هذه الخوارق وان كانت على اعتبار صدقها تصقل الايمان وتثبت العقيدة ـ يجب الا تشغلنا عن آيات الله الكبرى ، المتمثلة **فى تمكين** رسوله من الهجرة دون أن يمس بسوء ، **وفى تمكين** الدعوة المحمدية من أن تتسع آفاقها دون أن يعرقلها معرقل أو تقف فى طريقها عقبة، **ثم تمكين** أتباعها من المستضعفين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم من أن يعودوا الى الوطن بعد أعوام ثمانية فاتحين ليهللوا مع الرسول : **جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا** .

**اننا** حين نحتفل ونحتفى بذكرى الهجرة ، يجب أن نفقه أن هذه الهجرة كانت نقطة تحول ، ومرحلة انطلاق للدعوة ، فيتحتم علينا أن تتجه أذهاننا الى معانيها الحية العظيمة ، ومعالى امورنا الفذة ، **والله ـ كما يقول الرسول الصادق ـ يحب معالى الأمور ويكره سفسافها** .

**محمد عبد الله السمان**



# مخطوط السبعين الموازينية

## لجابر بن حيان الصوفي

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

**تمهيد :** لقد لبث الشرق أحقابا يخضع لغزو معنوى منظم ، عبثت له قوى الاقطاع الماردة ، واجهزة الاستعمار الخبيثة ، وكان كل همها أن تعزل أبناءه عن تراثهم ، وان تبترهم عن اصولهم ، فالحت على تاريخنا بالتشويه والتحريف والبتر ، حتى استطاعت لمدى قرون طويلة أن تحجب أضواءه ، وتطوى مفاخره ، وتمسخ أمجاده ، فعاشت أجيال منا فى عزلة رهيبة عن ماض لنا أغر ، أذهل الدنيا وبهر التاريخ ·

وتجمعت كل هاتيك الروافد لتستقبل الجيل الحالى صاحب الغد ، فالقى نفسه مجذوبا الى الغرب، بحكم رواسب موروثة فى أعماق كيانه ، وبحكم خضوعه لذلك الغزو الفكرى الطويل المنظم ، وكان على رجال تاريخ العلم واجب لكى يقاوموا هذه الجاذبية ـ أن يقضوا أولا على هاتيك الرواسب قدر مايستطيعون ، وأن يعبئوا قواهم لاماطة الحجب عن العلماء والحكماء العرب والاسلاميين الذين أسهموا فى تثبيت دعائم الحضارة العربية ·

**لذلك قد اخترنا الكيميائى العربى الفيلسوف جابر بن حيان الصوفى ، الذى كان اول من بنى أصول الكيمياء النظرية ، فارتفع بها من مستوى كانت سداه الاحاجى والشعوذة ولحمته الدجل والسحر ، الى مستوى التفكير المنطقى السليم المبنى على المشاهدة والتجربة والاستقراء ، وقد ظلت ابحاثه ومؤلفاته ينبوعا دفاقا لهذا العلم منذ فجر الحضارة الاسلامية حتى فجر الحضارة الأوربية اذ ترجمت مخطوطاته الى اللاتينية وكانت تدرس فى جامعة بادوا بايطاليا وكامبردج بانجلترا حيث وجدت هذه التراجم اللاتينية المطبوعة ضمن مجموعات كتب العالم الانجليزى روبرت بويل وكذلك اسحاق نيوتن وغيرهما ، وعرف جابر فى اوربا باسم « جيبر » ·**

**تاريخ حياته :**

ولد جابر فى طرسوس او طوس من بلاد خراسان عام ٧٢١ ميلادية ، وكان والده يشتغل بصناعة العقاقير الطبية ، وقد **تلقى الحكمة وعلم الصنعة فى الكوفة على يد أستاذ يسمى حربى ، يذكره جابر فى بعض كتبه كما يذكر الامام جعفر الصادق الامام السادس للشيعة ·**

فلما استتب الأمر لبنى العباس قربه البرامكة الى بلاط هارون الرشيد ، وقد عانى بعد ذلك من جراء التقرب الى البرامكة ماعانوا من فتك الرشيد بهم ، والبرامكة من أصل فارسى كانت مهمتهم فى الدولة الاسلامية كمهمة الاغريق فى الدولة الرومانية يحتاج اليهم القادة الجدد لخبرتهم وعلمهم ، ويخشون سمومهم الفتاكة فى الوقت نفسه ، لذلك تخلص منهم هارون الرشيد ·

وقد فر جابر بعد ذلك الى الكوفة ، وظل فيها مختفيا ومنصرفا الى تحضير الاكسير لصحة هوائها كما ذكر ابن النديم فى فهرسته ، ولقد عاش الى عصر المأمون ، ومات حوالى ١٩٨ هجرية ، ويذكر ابن النديم أيضا أن أبا موسى جابر بن حيان كما كان يلقبه الرازى فى كتبه قد ألف ثلثمائة كتاب فى الفلسفة ، وألف وثلاثمائة رسالة فى الحيل والصنائع ومجموعة آلات الحرب ، ثم الف فى الطب كتابا عظيما ، ثم الف بعد ذلك فى الطب أيضا نحو خمسمائة رسالة مثل رسالة المجسة والتشريح ، ثم الف أيضا كتبا فى المنطق على رأى ارسطاليس ·· الخ ، والمعروف أنه لا يوجد منها الى الآن الا نحو

ثمانين كتابا فى خزانات المكتبات العامة والخاصة فى الشرق والغرب ، وأعمق المخطوطات التى ألفها فى الكيمياء النظرية هو مخطوط السبعين الموازينية الذى نحن بصدد تلخيصه .

لم يظهر جابر على مسرح الحياة الا بعد أن درس **التراث العلمى الذى ورثته روح الحضارة الاسلامية من مراكز اشعاعية ثلاثة .**

**١ ـ الفلسفة والعلوم التكنولوجية التى ترعرعت فى مصر وبابل وآشور .**

**٢ ـ الفلسفة والحكمة من بلاد فارس والهند .**

**٣ ـ الفلسفة والعلوم الهيلينستية ومركزها انطاكية والرها وجنديسابور .**

وقد تطور علم الكيمياء قبل جابر فى البلاد العربية ، وفى هذه المراكز الاشعاعية بعد ان مر بثلاث مراحل حسب قول الفيلسوف كونت : ـ

**المرحلة الاولى:** وهى مرحلة الخرافات والميثولوجيا، حيث كان الاعتقاد يسود بأن جميع الظواهر الكيميائية مبعثها الأرواح والشياطين .

**والمرحلة الثانية :** وهى مرحلة الفلسفة حيث بدا الانسان يشعر بكيانه فى الوجود ، وانه يستطيع ان يستنبط قوانين الطبيعة بعقله وتفكيره .

**والمرحلة الثالثة :** وهى مرحلة العلم أو المرحلة الايجابية حيث التجربة والقياس والاستقراء .

وفى عصر بنى أمية وصل علم الصنعة أو الكيمياء على يد خالد بن يزيد بن معاوية الى مرحلة الانتقال تحت ضغط التحدى الخارجى والشعور بمركب النقص ، فآثر خالد أن يزهد فى الخلافة ، ويتفرغ لتشجيع ترجمة التراث الاغريقى على يد اصطفن الاسكندرى ، وغيره وكان النقل من اليونانية والسريانية الى العربية ، ثم اخذ العلم بجميع فروعه يتدفق فى بدء الخلافة العباسية ، ويترجم على يد النسطوريين من اهل حران شمال الشام الى اللغة العربية التى اظهرت مرونة كبيرة فى شتى المصطلحات والتعبيرات . فجاءت مرحلة الانطلاق فى روح الحضارة الاسلامية ، وبرز جابر بن حيان عملاقا فى الكيمياء النظرية والعملية التطبيقية ، ورث عن والده معرفة العقاقير واسمائها ، وتعلم من طائفة الاسماعيلية المتصوفة فلسفة الاعداد ، رغم أنه نشأ نشأة صوفية كاخوان الصفا الا أنه نحا منحى حسيا سداه التجربة والمشاهدة والقياس والاستقراء .

**ذكر جابر فى مخطوط الموازين ان الفلزات السبعة المعروفة وهى الذهب والفضة والنحاس والقلعى ( والقصدير ) والاسرب ( الرصاص ) والحديد والخارصينى ( وهو سبيكة من النحاس والزنك والنيكل ) لابد انها نشأت فى الارض من تأثير الكواكب السبعة ، فلذلك نسب الذهب للشمس والفضة للقمر والنحاس للزهرة والقلعى للمشترى والاسرب لزحل والحديد للمريخ والخارصينى لعطارد .**

ومن الغريب ن نظريته هذه قد تحققت فى القرن العشرين الى حد ما ، حيث أثبتت الارصاد الفلكية الحديثة أن المريخ مغطى سطحه بجبال ووديان حمراء ، أكبر الظن أنها خامة الهيماتيت او اكسيد الحديديك وفضلا عن ذلك فان فكرة الرجوع الى المجموعة الشمسية قد لجا اليها العالم الكيميائى بوانكريه **عام ١٩٠٤ حين اكتشفت الالكترونات ، فاقترح تكوين الذرة مثل الكوكب زحل تدور حوله التوابع ، والذرة تتركب من بروتون موجب التكهرب تدور حوله الالكترونات السالبة كما تدور توابع زحل .**

**فلسفة جابر :** فى مخطوط الموازين الذى نحن بصدده كان جابر متأثرا بفكرة هرمس الحكيم البابلى ، وهى أن أصل الأشياء واحد ، فمن البذرة تنبت الشجرة وتكبر ثم تتفرع بفروع كثيرة ، فلم لا تكون الفلزات الموجودة فى عصر جابر اصلها واحد ، وأنها انما تختلف فى الطبائع وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وأن هذه الطبائع ما هى الا طاقات كامنة فى صفات معادنها .

**وفى المقالة الثامنة عشرة من هذا المخطوط قال جابر:**

« ان الله تبارك وتعالى لما خلق الفلك ، وخلق فيه هذه الاربعة العناصر ، التى هى النار والماء والهواء والارض ، وكان أصلها اولا أن العناصر الأول لما اختلطت ولحق كل واحد مركزه ـ وذلك بعد استعمال الجوهر ـ لحقت النار العلو فكان مركزها، ولحق الهواء بالنار لما فيه من الحرارة ، فاعجزه عن البلوغ والاختلاط بها ، اما الرطوبة فصارت وسطاء ثم لحق الماء بعد ذلك السفل وكان فى البعد من النار على النهاية ، بقطر مساو لبعده على قياس الاضداد ، ولحقت الارض بالماء فاقامتها بيوستها ، ثم ان الفلك دار وكانت الطبائع ضعيفة ، فعملت الحجارة فى المعادن ، ثم أنه قوى وزاد دورانه فانفعلت الاشجار والنبات ، ثم انه قوى ودار دورانا

تاما فانفعلت بذلك الحيوانات ، ثم استطرد بعد ذلك .

« ثم نقول بعد ذلك ان الاصول الاول هى الاربع ، وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فاثنان منها فاعلان واثنان منفعلان للفاعلية . فالحرارة فاعلة ومنفعلها من الاربع اليبوسة . والبرودة فاعلة ومنفعلها من الاربع الرطوبة .

والخطوة الجريئة التى خطاها جابر بعد ذلك هى فى استنباط جداول تبين العلاقة بين هذه الطاقات وبين صفات الفلزات ، فكان رائدا للكيمائى دوبرينر عام ١٨١٦ ــ ١٨٢٩ والكيمائى الروسى منديليف عام ١٨٦٩ اللذين وضعا جداولا تبين الترتيب الدورى للعناصر طبقا لاوزانها الذرية ، فبذلك قد سبقهما جابر باكثر من الف عام بصرف النظر عن النتائج التى وصل اليها كل منهم .

**وفكرة جابر لا تنبثق من الوزن الذرى لان هذا الوزن كان مجهولا ولم يكتشف بعد ، ولكنه بنى فكرته على اهمية الاعداد المتحابة التى كانت سائدة قبل عصر جابر ، وتتمثل فى الاعداد ١ ، ٣ ، ٥ ، ٨ وكذلك فى العدد ٢٨ وهو مجموع الحروف الهجائية كلها فى مربع حساب اليازرجه هكذا .**

| | | |
|---|---|---|
| ٤ | ٩ | ٢ |
| ٣ | ٥ | ٧ |
| ٨ | ١ | ٦ |

**فالأسرب ( الرصاص ) مثلا حار من الدرجة الأولى فالحرف « أ » اذن وهو أول الحروف يعبر عن طاقة قدرها ٧ دوانيق .**

وهو ايضا جاف من الدرجة الثانية فالحرف «س» يعبر عن طاقة قدرها درهم وهو أيضا رطب من الدرجة الثالثة والحرف « ذ » يعبر عن طاقة قدرها ١/٤ درهم وهو أيضا بارد من الدرجة الرابعة فالحرف « ب » يعبر عن طاقة قدرها ٩/٤ درهم اذن مجموع طاقات الرصاص هى ١٢٣/٤ درهم .

**وهكذا فى بقية الفلزات الاخرى مثل الفضة التى مجموع طاقاتها ١٩٠/٩ درهم . فاذا استطعنا تحويل هذه الطاقات والتحكم فيها ، فانه يمكن تحويل الفلزات الخسيسة الى فلزات ثمينة مثل الذهب نظريا .**

هكذا فكر جابر ، وهى نفس الفكرة التى تراود الاذهان فى العصر الحاضر بلغة الالكترونات ، فالعدد الذرى للرصاص هو ٨٢ وهو يمثل عدد الالكترونات حول النواة ، والعدد الذرى للذهب هو ٧٩ ، فاذا أمكن التخلص من ثلاث الكترونات من ذرة الرصاص ومثلها شحنات موجبة من البروتون فاننا بذلك يمكننا تحويله الى ذهب .

اذن فجابر يعتبر رائدا لعلماء القرن العشرين ، فاتجاه تفكيره بامكانيات عصره هى نفس اتجاه هؤلاء العلماء بمفاهيم عصرهم ، ولم يؤثر عن جابر أنه حاول الحصول على الذهب بهذه الوسيلة بل هى مجرد نظريات وضعها ، واستغلها أمراء أوربا فى القرون الوسطى للسعى الى الحصول على مزيد من الذهب بانشجعوا المشتغلين بعلم الصنعة أو الخيمياء الى تطبيق موازين جابر ، واجراء مختلف التجارب على المعادن الخسيسة ، وانتشر الدجل بهذه الفرية التى نسبوها بهتانا الى جابر حتى ان الخيميائى الانجليزى « جون داستين » عام ١٣٤٢ وكان استاذا بجامعات انجلترا قد ألف كتابا فى استخراج الاكسير بواسطة قليل من الزئبق والذهب والفضة ، وانتشرت هذه الآراء انتشارا مريعا فاضطر البابا جون الثانى عشر عام ١٣١٧ الى اصدار قانون يعاقب كل من يشتغل بهذا الدجل الخيميائى لحماية البسطاء من هذه الشعوذة .

فاذا اعتبرنا الأوزان المكافئة لهذه الفلزات كالآتى :

ذهب ١٩٧ ــ فضة ١٠٧ ــ نحاس ٦٣/٦ ــ قصدير ( ٣٠ : ٥٩ ) ــ رصاص ٥٠ ــ حديد ١٩

فاننا نجد النسبة بين هذه الأوزان المكافئة كالنسبة التى وضعها جابر وهى ٢٠٠ ــ ١٠ ــ ٧ ــ ٥ ــ ٤ ــ ٢ تقريبا .

وتعبيره عن القوة يشبه القانون الثانى لفاراداى حين يقول :

ان هذه الفلزات تترسب بنسبة اوزانها المكافئة فى محاليلها بواسطة التيار الكهربى .

**ان ردنا ان نسترسل فى مخطوطات جابر وفى نظرياته وتجاربه لما استطعنا فى هذا المقال أن نلم بقطرة منها ، وانى اهيب بمعهد مخطوطات الجامعة العربية ، وباكاديمية العلوم بوزارة البحث العلمى ان تعمل على جمع هذا التراث القومى النادر من المخطوطات المبعثرة فى مختلف الدول الأوربية والشرقية .**

**احمد سعيد الدمرداش**

# حول الأدب في أسبوع

بقلم عبده بدوى



## الهجرة أبدا :

انت تعرف انك حبيب الى قلبى ، وانك منذ دخلت قلبى لم تهاجر الى الآن ، فقد عرفتك فى قريتى الصغيرة تلك المعرفة التى تتصل بالقلب ، وتلتصق بالروح . فلم اكن بعد قد فتحت كتابا ، ولم يكن فى هذا العهد « زر » يدار فاذا الانسان يملك كل العالم من خلال اذنه ، ولو كان قد وجد لما عرفت اليه فى هذا العهد سبيلا .. ولكنه على الرغم من هذا عرفتك فى كتاب كبير اخضر هو الطبيعة من حولى ، ولقد كانت حروف هذا الكتاب هى البشر ، ومن هؤلاء البشر عرفتك ، فقد كنت على شفاههم نغم ، وفى عيونهم بريق ، وفى قلوبهم نور ، ولقد كنت اعرفك من قلوبهم اكثر مما كنت اعرفك من شفاههم وعيونهم !

ثم لقد عرفتك بعيدا قرب السماء الشفافة ، عرفتك والفجر يهز بيده مهد الحياة ، وعرفتك والظهيرة تجمع الماس على جباه الفلاحين ، وعرفتك والعصر يرفرف على وجوهنا بألف منديل من الحرير ، وعرفتك والمغرب ينتزع الناس من الحقول ويشدهم شدا الى منازلهم ، وعرفتك والعشاء تملأ السماء بالنجوم والنفس بالطمأنينة .. ولقد كان كل هذا من خلال هذا الشىء الذى كان يرتفع على رءوسنا ، والذى كان لابد لنا أن نتسلقه بعيوننا ، ثم نستمع منه فى خشوع الى الاذان !

ولقد اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، فقد كنت فى اللغة التى نتحدثها بحيث لو احصينا ست كلمات لكنت السابعة ، وكنت فى الاسماء التى يتنادى بها بعضنا بعضا ، ولقد وجدتك فى اسم أبى واسم جدى ، واعترف انك لم تهزنى هزا الا حينما عرفت انك كنت « يتيما » ، فقد كنت انا الآخر اشترك معك فى هذا الجرح ، صحيح انى كنت احس ان كل شىء فى القرية يربت على أيامى ، ويمسح على رأسى ، ولكنى كنت احس انه كان ينقصنى شىء ، لعله شعور الطفل بالحاجة الى ان يمسك يد والده ، ولعله كان العطش الى تلك النظرة الرحيمة التى ترفرف فى العين كحمامة ، بل لعله كان الشعور احيانا بالحاجة الى الضرب ، فقد سمعت مرة طفلا يتيما يقول حين شاهد طفلا يصرخ **« لعلنى كنت فى موقفك ابدا !! »**

وما اكثر ما كنت « حاضرا » فى قريتنا ، فقد كنت موجودا فى الفرح والحزن ، وفى الموت والحياة ، وفى الغضب والهدوء ، وكنت معنا على مائدة الطعام ، وحين كنا ننام كنت تأتى الينا فى هذه الاحلام التى كانت لا تكف عن المجىء الينا فى هذه الأيام الخضراء .

ثم استودعتك أمى اياى فى المدينة ، ولقد كنت حريصا عليك كل الحرص ، بل لقد تشبثت بك اعظم التشبث ، وانا ارى الناس لاول مرة لا يقرئون بعضهم « السلام » وهم يسيرون ، وانا اراهم مشدودين الى أغراض مجهولة دون أن يبتسموا فى وجه الشمس ، او ترتفع اصواتهم « بالموال » كلما غرد القمر بين النجوم ، وانا اراهم لا يذكرون اسمك كثيرا كما نفعل فى قريتنا .. نعم تشبثت بك كما تتشبث الموجة لحظة بالشاطىء ثم تعود ، ولقد رأيت نفسى « موجة عائدة » الى البحر الكبير :

استغرقتنى الحياة فاصبحت ضيفا على حياتى بعد ان كنت كل حياتى ، اصبحت كالسماء والحقول

لا اراكما كثيرا فى المدينة ، بل انى اعترف ان شجرة صداقتنا قد تساقطت أوراقها ، وان هذه الأوراق ما كان يدغدغها الاخضرار الا حينما اعود الى القرية ، ومع انا كنا نعود منها معا ، ويدى فى يدك وقلبى فى قلبك ، الا اننا سرعان ما كنا نفترق فى المدينة التى تقتل الاطفال والناس يوما بعد يوم ، ولقد قتلتنى المدينة ، ومن جثتى الخضراء خلقت انسانا آخر كنت انكره بين الحين والحين ، فقد حضرت اليها وانا كالبذرة ، ولو حدث انى كنت سقطت على بابها لازهرت وقامت منى شجرة خضراء كبيرة ، تعزف من خلال اغصانها موسيقى الكون ، وتكفى ثمارها كل « اليتامى » الذين يتوجهون الى المدينة !

ولكنى لم اقف على باب المدينة ، وانما هبطت فيها الى القاع ، ومن القاع حملت صخرتى ، وماكدت اصل الى القمة حتى قيل لى عد ، ومازلت فى حياتى اقوم بهذه المهمة .. على انى فى مسافة التعذيب هذه لم احرم من رؤية وجهك ، فقد كنت اراك لا غاضبا منى ، ولكن مشفقا على . . وبخاصة فى تلك الفترة التى يحس فيها الانسان أنه بحاجة الى التمرد على كل ما يملك من تاريخ ، وقيم ، وانه يريد ان يقف « **وحيدا** » و « **محتجا** » على كل شىء عرفه ، وافترقنا . . ووقفت منفردا فى قلب العالم وسكرت بهذا اللون من الانعتاق ، ومع انى كنت احس انى كالشجرة التى تعرت من اوراقها وثمارها وظلها ، الا انى مازلت صامدا لكتل الشمس وصرخات الأعاصير ،ومع انىكنت فقدت الانسجام مع نفسى ، ومع الحياة من حولى ، الا انى كنت اغذى « موقفى » بالشك والانكار ! .

ولكن الذى حدث هو ان الصحراء قادت الى الواحة ، والامواج دفعت الى جزيرة ، وفى هذه الفترة وصلت الى شىء اعتبرته هاما بالنسبة الى نفسى وهو ان الشك فى « حقائق الوجود » يؤدى فى النهاية الى ما يؤدى اليه الايمان المطلق ، صحيح أن الشك ، شارع خلفى ، ممتلىء بالظلام والتوتر ولكن من يواصل السير فيه لابد أن يصل الى الايمان القوى الذى لا يتزعزع ، وليس على هؤلاء المعاندين الا أن يواصلوا السير ، والا فلن يكونوا جديرين برسالة « العناء » و « التحدى » !

والذى حدث هو انى انتهيت اليك ، ولقد كان مما حببنى اليك انك لم تطاردنى ، وانك لم تسد على الطرقات ، ولكنك تركتنى « امارس تجربتى » ، ومن هنا كان اللقاء بيننا عظيما وعميقا ، وكان لى الزهو ،وانا اضع ذراعى فى ذراعك واواصل رحلة الحياة .

ولقد كانت لى معك تجربة رائعة ، حين درست تقدمك الى افريقية ، ورأيتنى اصدر كتابا بعنوان « دول اسلامية فى الشمال الافريقى » ثم انتهى من تأليف آخر يدور حول الاسلام فى غير دول الشمال الافريقى ، ولقد ظهر لى فى هذا النوع من الدراسات وضوح « الوجه الاسلامى » لافريقية فى العصر الحديث ، بعد ان كانت هناك حملة مضللة تقول بأن وجه افريقية الحقيقى اما وثنى واما مسيحى ، وانه من هذه الدول المسلمة قامت اول دعوة الى تحرير العبيد ، كما انها حاصرت « الصليبية » عن ان تتقدم اليها بعنف ، او ان تتقدم عن طريقها الى الشرق ، وان هذه الدول قد وقفت بصلابة فترة كبيرةمن اجل « الا يسقط القمر » فى اسبانيا وجزر البحر الأبيض المتوسط ويعتبر من الحقائق الأولية ان الاسلام لا يقف امامه دين آخر فى افريقية حينما يأخذ فرصته ، ولقد دعا هذا «ديدرنج وسترمان» ـ نقلا عن الاستاذ العقاد ـ الى أن يذكر ان الاسلام دين مذكر ، او دين ذو رجولة ، يعجب الافريقى ببساطته وقوته ، كما ان من الحقائق الاولية : ان الاسلام ضاعف نفسه خلال العشرين عاما الاخيرة فى افريقية ، وانه يكون الآن على الخريطة الافريقية ما يشبه الهلال الكبير على حد تعبير «هوبيرديشان»

ومن افريقية يظهر الرد الواضح على الذين يقولون انه دين اسيوى ، وانه دين الصحراء فى الاصل ، والسهول فى الفرع ، وانه من الاجهادبحيث لا يستطيع تسلق المرتفعات ، ثم اخيرا انه دين السيف !

ذلك لانا نراه فىافريقية يكتسح السهل ويتعلق بالمرتفعات ، ولانا نراه كما ذكر « سيرتوماس . و . ارنولد » لا ينتشر الانتشار الحقيقى ـ وبخاصة فى منطقة الشرق ـ الا بعد ان انتزع الاوربيون الأسلحة من المسلمين !

ومهما يكن من شىء فقد وجدت ابتسامتك دائما فى انتظارى ، واعتقد انك لا تضن بها على انسان ، صحيح ان « الغربان » تهجم احيانا على بعض مدنك، وان بعض من يسيرون فى « الشوارع الخلفية » لا يعودون اليك ، ولكنك الوحيد الذى لا تكف عن

الحركة ، وعن « الهجرة » الى القلوب الجديدة ، انت « **فارس النور** » الحقيقي في هذا العصر بالاحصائيات ، وبالعوالم الجديدة التي تفتح امامك . ذلك لانك تنتمي الى كل زمان ومكان ، ولانك الصديق المخلص للبشرية في تقدمها على طريق الحياة .

ولست بائسا من الذين يتصايحون حولك ، لاني اعرف انك كالبذرة الكامنة في اعماقهم ، ولاني اعرف كيف تخضر البذرة وتزدهر وتملأ كل النفس وكل الوجود .

يارسول الله

لقد احببتك في القرية بقلبي ، واحببتك في المدينة بعقلي ، وها انا اليوم احبك بقلبي .. وبعقلي

## النبي والشعر

الى هذه اللحظة البشرية الثرية ، التي تتمثل في حنين الانسان الى وطنه ، اسوق هذا الحديث النفسي على لسان النبي حين اخرج من مكه ، وقلبه يلتفت اليها في كل خطوة

« بلدي احبك في دمي ترنيمة
تنساب في ايامي البيضاء
ودبيب وحي خاشع متبتل
ينداح بالاشواق في الاعضاء
كم من مساء قد عصرت نجومه
لأراك بين سنابل الأضواء !
قد عشت ارضك جدولا وخميلة
وسبقت طيرك في الفضاء النائي
وتعلقت روحي بروحك مثلما
يتعلق الآباء بالابناء
ومع الظلال رعيت اغنامي التي
ملأت سكينة وحدتي بثغاء
ان جعت .. تنمو في ضميري نخلة
مسحورة . فجرية الافياء
واذا ظمئت .. تفور بين جوانحي
نبعا سخيا وارف الآلاء !
انا لم احبك صخرة منبوذة
وقبيلة تلتف بالبغضاء
وحداء ركب تائه في قفرة
وخيام مذعورين في الصحراء
وطفولة يلقى صباح جبينها
في وحشة مجنونة خرساء
فلقد مزجتك بالمشاعر . بالمنى
في النفس . بالصلوات في اجوائي!
صور من الماضي العظيم استرسلت
في ليلة مطلولة الاصداء
خفقت باشواق النبي حزينة
تهتز بين منى ، وبين بكاء
حتى اذا لم تبق الا دمعة
وبقيت بين مطارف الظلماء
صرخت به بشرية جياشة
« .. وطني الذي ينساب بين دمائي
أخرجت منك وفي فؤادي جهشة
سيسوقها الا صباح للامساء
حتى اعود .. اعود أحضن في دمي
ما فيك من رمل ، ومن حصباء
فعلى رباك طفولتي ، وعلى ذرا
ك نبوتي ، وعلى السفوح دمائي!»

## فيلم هجرة الرسول

يعتبر فيلم « هجرة الرسول » الذي اخرجه ابراهيم عمارة ، والذي قام بدور البطولة فيه ماجدة ، وايهاب نافع .. من الافلام النظيفة التي تستطيع ان تشد المشاهد ، لانه يعطيه لونا جديدا لم تتجه اليه افلامنا

ومع ان الامكانيات التي استعملت في الفيلم كانت محدودة ، وانه اشبه في كثير من الامور « الفيلم التسجيلي » الذي لا يعني الا ببعد واحد ، قد يكون التاريخ او شيئا آخر ، ومع ان الحركة كانت بطيئة، والحوار في بعض الاحيان كان جافا مما جعله يكرر كلمة « لم يعد في قوس الصبر منزع » اكثر من مرة .. اقول على الرغم من هذا ، فان الاتجاه الى « واقعنا الاسلامي » ، ولا اقول «تراثنا» الاسلامي، يعتبر اتجاها محمودا ، ولكن فقط يجب ان يحتشد لهذا النوع من الافلام ، وبخاصة اذا عرفنا ان لها جمهورا كبيرا في الداخل والخارج

على انه اذا كان اعتراض على شيء فانه لابد ان يكون على موقف سراقة من النبي ، وكيف انه ظهر في صورة مضحكة اضعفت من العمل ككل ، ذلك لانه يجب ان نضع في اذهاننا انه لا يجب ان نظهر عدونا بصورة مضحكة ، بل انه كلما كان مراوغا وعنيدا ، كلما اظهر هذا من الطرف الآخر للقضية .

وما نطالب به هو الاحتشاد لمثل هذه الاعمال

**عبده بدوي**

١٠

# الكتب
## نقد وتعريف





بقلم
تحسين عبد الحي

# محمد واليهود

● من الحقائق الثابتة التى لا تقبل الجدل - والتى اتفقت عليها جميع شعوب العالم فى الماضي والحاضر .. ان طباع اليهود هى الاثرة وحب الذات والتعصب الشديد .. فاذا ما اصاب سواهم خيرا كانما اغتصب منهم . ولذلك عاشوا دائما فى عزلة - يحكمهم شعور قوى بانهم فرع مقطوع من شجرة العالم . يعيشون حياتهم بنفسية معقدة متسمة بمركب نقص ثابت .. وتقودهم هذه الاوهام دائما الى ان يتربصوا الدوائر بالانسانية والناس جميعا . يضمرون العداوة للبشرية ، ويحقدون على الناس فى ضغينة قوية . فيذيقون شعوب العالم قديما وحديثا صدى هذه الاحقاد .

انهم فى كل وطن يعيشون فى عزلة تامة . لا يؤاكلون احدا ، وينفردون بطعامهم الخاصة ، ويعملون دائما على التجمع والتكتل فى جزء او مكان خاص - من هذا الوطن ليرسموا خطط السطو والسلب المستتر ..

ولهذا كانوا وما زالوا مصدر الشر للعالم ، ومنبع السخط عليهم ، فاذا ما علت كلمة الدين ، كلمة الحق ، وذاق الناس حلاوة الاسلام ، تذوقوا معه كراهية بنى اسرائيل ، فارتفعت درجة السخط والازدراء باولئك الكفرة المتبجحين ارتفاعا كبيرا ، وكذلك عندما علت كلمة المسيحية قبل الاسلام - وكان انتشارها فى اوربا - انتشارا كبيرا - علت مع ذلك ايضا درجة كره اليهود والسخط عليهم .

وقد سجل لهم التاريخ مآسي عديدة فى صحف سوداء لاتعرف اللون الابيض .. فقد ساموا السيد المسيح وتلاميذه سوء العذاب ، ورجموا يعقوب اخا المسيح وعددا من القديسين النصارى ، وقتلوا مارسمعان اسقف اورشليم سنة ١١٧ م وذبحوا النساء المسيحيات والاطفال الذين لا يأمنون المسيح. وضحاياهم لا تحصى ولا تعد فى كل فترة من فترات التاريخ.. ولما قويت شوكتهم فى القرن الثالث ، حذر القديس كليمنت جميع مسيحيي العالم عامة ، وكورينثا خاصة من اليهود ونفوذهم وبأسهم الذى قضى على الآلاف .

ولعل من الطريف حقا - ان اذكر .. ان حريق روما ، ذلك الحريق التاريخى الذى قام به القيصر المجنون «نيرون» كان بايعاز من «بوبايا اليهودية قرينته المعشوقة ، الذى كان يعبدها ولا يعصى لها امرا .. هذه المرأة اليهودية التى كانت لا ترد طلبا لشيوخ اليهود فى روما وما جاورها ، والتى كانت لليهود درعا متينا ، هى التى امرت بقتل القديس بطرس ، والقديس بولس ، وهى التى اوعزت الى زوجها نيرون ان يحرق روما - فحرقها بعد ان نكلت بالكثير من رجال الكنيسة وغيرهم من المسيحيين .

لم يسلم نبى او رسول من اذى اليهود .. ترى هل سلم خاتم النبيين وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الاذى .. ؟

ويجيبنا على هذا السؤال كتاب اليوم - محمد واليهود - الذى الفه الاستاذان - محمد احمد براتق ، ومحمد يوسف المحجوب .

يقول الكاتب :

« كان اليهود يعلمون منذ انزل الله التوراة على موسى - ان الله سيبعث بنبيه محمد ، وكان المسيح يقول لهم حين بعثه الله اليهم « يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد . »

ويحدثنا التاريخ عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه ..

قالوا :

ان مما دعانا الى الاسلام – مع رحمة الله تعالى وهداه لنا – اننا كنا نسمع من رجال يهود – وكنا اهل شرك واصحاب اوثان – وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس عندنا .. وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن .. نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ذلك . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت الآيات : –

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

اذن فقد كان اليهود يعلمون ان محمدا هو رسول الله اليهم .. ومع هذا اخذوا يناصبونه العداء لان الله تعالى خص العرب بان اختار منهم الرسول – النبي الأمي – الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة – خصه بنشر رسالته واعلاء كلمته..

ومع ذلك لم يقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم – حقدا بحقد – او عداوة بعداوة . ونجده صلوات الله عليه وسلامه بعد الهجرة بعد ان آخى بين المهاجرين والانصار وضع عهدا وميثاقا بين اهل المدينة بعضهم وبعض .

ورأينا النبي في هذا العهد وذلك الميثاق .. قد وادع اليهود وامنهم على انفسهم واموالهم ودينهم .. وجعلهم كلهم سواء فيما لهم وفيما عليهم ، وربط بينهم وبين القبائل التي يحيون فيها برباط واحد . واعطى يهود كل قبيلة ما لهذه القبيلة من حقوق ، وفرض عليها ما على القبيلة من واجبات ، وكفل لهم حرية العقيدة ، وذكر كل قبيلة على حدة ليكون ابلغ في النص على العناية بأمرهم واظهار روح الاسلام الذى حرص على اشاعة العدل ، واحترام العقيدة في النطاق الذى لايرى فيه النبي عدوانا على رسالته واصحابه .

ولكن هل احترم اليهود ذلك الميثاق الذى وادعهم به محمد ؟

هل انصرفوا الى حياتهم وصناعتهم وتجارتهم وزرعهم ودينهم في تلك الرحاب التي اتاحها لهم محمد ؟

ام عاودتهم طباعهم اللئيمة التي حاربوا بها انبياءهم من قبل حيث قتلوا من الانبياء زكريا وابنه يحيى كما حكموا على المسيح عيسى عليه السلام بالاعدام وهم يعلمون انه رسول الله اليهم ، وساقوا من القى الله عليه شبه المسيح ، فصلبوه وقتلوه ، وهم يظنون انه هو ، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

ان لؤم الطباع المتأصل في نفوسهم اثار كوامن احقادهم اذ رأينا احبارهم يناصبون محمدا العداء بغيا وحسدا وضغنا . لقد جادلوه كثيرا – واسرفوا في عناده ، وحاولوا بكل الوسائل تخذيل دعوته ..

فهذا ابو ياسر بن اخطب ونافع بن ابي نافع ، وعازر بن ابي عازر وغيرهم من اليهود .. يسألون محمدا عمن يؤمن به من الرسل ..

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

فلما ذكر محمد عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا يمن آمن به ... فانزل الله تعالى فيهم :

« قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا ، وما انزل من قبل ، وان اكثركم فاسقون » .

وتمادى اليهود في كفرهم فزعم بعضهم ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة ، وان الله انما يعذب الناس في النار بكل الف سنة من ايام الدنيا ، يوما واحدا في النار من ايام الآخرة – اى ان مدة العذاب في زعمهم – انما هي سبعة ايام ثم ينقطع العذاب .. وواجهوا محمدا بذلك حينما قدم المدينة فانزل الله في ذلك من قولهم :

« وقالوا : لن تمسنا النار الا اياما معدودة ، قل : اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى ، من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار ، هم فيها خالدون . »

وبدأ اليهود بعد ذلك محاولات متكررة لقتل سيدنا محمد ..

فقد حاول بنو النضير ان يقتلوه بحجر يلقونه عليه من فوق المنزل الذى كان يجلس امامه صلوات الله وسلامه عليه ثم محاولتهم قتله من طريق الشاة المسمومة التي ذكرتها في العدد الماضي – ولما لم تجد هذه المحاولات الفاشلة نفعا نجد اليهود يسعون الى التحالف مع قريش لطعن الدعوة الاسلامية من الخلف وتصفيتها نهائيا ..

حينئذ لم يجد الرسول بدا من محاربة اليهود وطردهم من المدينة تأمينا لدعوته – وجزاء على خيانتهم ونقضهم لعهودهم ومواثيقهم .

واود هنا ان اؤكد في هذا المكان – ان الاسلام لم يبدأ قوما بالعدوان ، وانه كان دائما في موقف المدافع عن عقيدته وكيانه .. لا في موقف المهاجم لدين أو لقوم .. وهذا ما حدث فعلا مع اليهود .

## أخيراً

وبعد .. فاذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد ترك اليهود .. في بداية الدعوة – يعيشون كما يحلوا لهم – كاقلية دينية – في المدينة – وذلك في الحدود التي لا تجعل من تآمرهم خطرا مدمرا يهدد وجود الاسلام . فان العرب قد فعلوا ذلك مقتدين برسولهم العظيم ورائدهم المعلم .. فتركوا اليهود يمارسون حياتهم كاقلية – وكما هو شأنهم في معظم بلاد العالم – وذلك الى ماقبل وعد بلفور المشؤوم

والعرب عندما يناضلون اليوم لطرد اليهود من فلسطين فهم بذلك ينفذون ما امر الله ورسوله به مقتدين برواندهم الاوائل العظام – الذين حاربوا اليهود وطردوهم في الوقت الذى احسوا فيه انهم اصبحوا خطرا يهدد كيان امتهم ودينهم القويم .

شيء آخر اود ان اقوله هنا .. ان نضالنا المسلح ضد اليهود في فلسطين لا يحمل في رايي اية نزعة عنصرية او دموية – كما يحلو للبعض ان يصوروا ذلك ، ولكنه يحمل في الاساس معنى تاريخيا وانسانيا في نفس الوقت .. فاليهود الذين يستمدون وسائل حياتهم اليومية من كتبهم المقدسة .. تلك الكتب التى تزودهم باوهام التميز على شعوب العالم تحمل لهم في نفس الوقت نظرة عدوانية استغلالية نحو الغير ، وتؤكد على استرقاق بقية الشعوب والتسلط على مقدراتها .. وقد جاء في التوراة والتلمود واشعيا وحزقيال وغيرها من الكتب المقدسة لليهود مثل هذه النصوص الصريحة ، التى تشرح ما يدعون من افضلية واستحقاق لملكية العالم وما يعتقدون من انهم شعب الله المختار وان الارض جميعا بما فيها وعليها ومن عليها ميراث شرعى وان اى شريعة تخالف شريعتهم هى شريعة باطلة فاسدة .

ان في توراة اليوم اخبارا كلها ذبح وعهارة وحيل وزنا بنات لوط وسفاح داود ، والبغاء في المشارف ، وضروب التقتيل بلا رحمة ، وانواع التوحش – والخيانات والغدر – وتجمع تلكم الاخبار جميعا تاريخ اليهود والمصدر الذى يستمدون منه قوانينهم وشرائعهم وطرق حياتهم اليومية في فلسطين اليوم

واود هنا ان انقل بعض اراء زعماء العالم في اليهود لا لشيء الا لكى نصل معا الى المعنى الانسانى لنضالنا المتظر مع اليهود .

يقول كارل ماركس – المؤسس الاول للفكر النظرى الشيوعى في كتابه المسألة اليهودية – ص ٥٦ عن اليهود ما يلى :

● ان في اليهودية عنصرا عاما وحاليا مناهضا للمجتمع ، وهو عنصر دفع بالتطور التاريخى الذى اسهم فيه اليهود ، من هذه الوجهة السيئة ، مساهمة نشيطة الى نقطة الاوج في الزمن الحاضر ، والى ارتفاع لا يستطيع معه الانحلال .

ان التحرر اليهودى في معناه الاخير ، يقوم على تحرر الانسانية من اليهودية ..

واود قبل ان استرسل في ذكر آراء اخرى لبعض المفكرين والزعماء العالميين ان اوضح هنا ان هذه الاقوال لم يطلقها عربى متألم من جرائم اليهود في وطننا ولم يكتبها نازى متعصب خضع لتعاليم هتلر فحقد على اليهود ولكن هذه الآراء لكارل ماركس الشيوعى الاول وهو اصلا يهودى من المانيا خبر النفسية اليهودية على الطبيعة .

وقد قال – نيكيتا خروشوف – ضيف الجمهورية العربية المتحدة الآن – في تصريح له لمجلة الفيجارو الفرنسية في عددها المؤرخ ١٢ – ٤ – ١٩٥٨ ما يلى ..

«اليهود كشعب وجنس عاجزون عن تحقيق استقرار سياسى او استقلال لقاق . وتاريخهم منذ عشرات القرون يدل على انهم لم يفلحوا في تهيئة معيشة مستقلة لانفسهم منفصلة عن بقية المجتمعات وان تكوين مجتمع يهودى مستقل امر لا يمكن القيام به كما لا يمكن تحقيق مجتمع سياسى مستقل ، ذلك ان اليهود يحشرون في كل شيء وينتهون الى انحرافات فكرية عميقة .

ويقول خروشوف في نفس الموضوع :

اما اسرائيل فهى العوبة في ايدى الاستعماريين واعداء الدول الاشتراكية .

ويقول نهرو في كتابه نظرات في تاريخ العالم ص ٧٦٢ عن اليهود ما يلى :

« حيثما يذهب اليهود يلقون معاملة الغرباء المقوتين غير المرغوب فيهم .. لقد اذلوا واحتقروا ، واصبحت كلمة يهودى نفسها تعنى الخيانة وسوء السلوك . واصبحت مرادفة للبخيل والمرابى الشحيح » .

واذا كانت هذه الآراء جزءا من كثير لا نستطيع ان نورده هنا .. وهى اراء لمفكرين وزعماء عالميين .. فاين اذن يكمن الجانب الانسانى في نضالنا ضد اليهود ؟

لا شك ان احدا لا يخالفنى الراى في ان التاريخ قد القى على شرقنا العربى في مختلف العصور ببعض المهام الصعبة التى استطاع ان يتحمل مسئولياتها بجدارة كمساهمة فعالة لدفع عجلة التقدم الانسانى والحضارى للعالم .

فبخلاف الاديان السماوية التى كان الشرق العربى مركز اشعاعها الاول .. والذى ما زال رائدها بغير منازع نجد ان الشرق العربى بزعامة مصر – استطاع ان يحمى اوربا من الانتشار الدموى لجحافل المغول عندما هزموا في عين جالوت.

ومن جهة اخرى استطاع الشرق العربى بزعامة مصر ان يحمى الشرق عامة – الادنى منه والاوسط من سيطرة الصليبيين المتعصبين – في مجموعة المعارك البطولية التى خاضتها جيوشنا ضد اوربا مجتمعة بقيادة صلاح الدين .

واستطاعت مصر في حرب السويس ان توقف الاستعمار الاوربى وترغمه على التسليم لكثير من الدول الافريقية بالاستقلال بعد ان دقت عنقه في بورسعيد ..

وهذه المسئوليات التاريخية التى اسهم بها شرقنا العربى وهى جزء من كثير بما تحملا من محتوى انسانى رائع الا انه في اعتقادى ان المسئولية الكبرى التى يجب ان تؤمن بمحتواها الاكثر انسانية .. ان نخلص العالم من شرور اليهودية العالمية وان نفوت عليها خطتها الرامية الى التحكم في منطقتنا التى تعتبر بحق مفتاحا هاما لطريق التجارة العالمية وملتقى للحضارات الانسانية – المادية منها والروحية وما اجلها – في رايى – من مهمة انسانية – لنا – ولكل الشعوب .

تحسين عبد الحى

أقصوصة عربيّة



# بنت العرب

بقلم ابراهيم محمد نجا

## - ١ -

كان الليل حالك الظلام ، فلا يكاد المرء يتبين ما امامه ، وان امعن النظر ، واطال التحديق ... والريح الباردة تهب من الجنوب ، فتوقظ الرمال النائمة في الصحراء ، وتلطم وجوه الرجال وهي تحاول أن تسلب اجسادهم ما عليها من ثياب.. وكانت الجمال تسير وقد برح بها التعب ، واضناها الكلال ، فهي تقارب الخطو حتى لتوشك ان تتوقف عن السير ! ومن اعماق الصمت الذي يسود القافلة ، ارتفع صوت يقول :

ــ يا عثمان .. هات من غنائك الحلو ما ينعش النفوس ، وينشط الابدان .. وعلى الفور بدأ صوت عثمان يسرى في الليل مترنما باغنية جميلة من اغاني القوافل ..

كان الصوت حلو النبرات ، جميل الاداء ، وكانت الاغنية عذبة النغم ، رقيقة التعبير ، فانتعشت النفوس ، ونشطت الابدان ، واخذت الجمال تباعد خطوها ، حتى كأنها تريد أن تطير !

ــ هكذا الغناء يا عثمان .. هكذا الغناء

وكان هذا الصوت صوت الشيخ جابر رئيس القافلة التي خرجت من دمشق قاصدة الى القاهرة ذات ليلة من ليالي رمضان عام سبع وسبعين وخمسمائة من الهجرة .. والشيخ جابر هو في ذلك الوقت كبير تجار دمشق ، ومن المقربين الى الملك سيف الدين ابي بكر والي دمشق من قبل اخيه السلطان صلاح الدين الايوبي ، وقد أحب الملك سيف الدين الشيخ وقربه اليه ، لما رآه من صلاحه وتقواه ، وبذله في سبيل الله، ولما لمسه من بلائه في الجهاد ضد الصليبيين الذين وفدوا من بلادهم وفود الوباء ، يبغون السيطرة على بلاد العروبة والإسلام، متخذين من الدين ستارا يخفي ما في نفوسهم من المطامع والاهواء .

وكان مع الشيخ في هذه القافلة ولده محمود ، وهو صبي لم يكد يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وان كان يجمع في اهابه بين مضاء الشباب وعزمهم ، وحكمة الشيوخ واتزانهم ، وابنته فاطمة ، وهي فتاة في فجر الشباب ، وربيع العمر ، حلوة القسمات ، نجلاء العينين ، رشيقة القد ، تمتاز بوجه رائق اللون ، صافي البشرة ، امتزجت فيه سمرة بنات النيل ببياض بنات بردى ، لان اباها كان من فتيان دمشق ، على

حين كانت امها من فتيات القاهرة .. اما صوتها فالظهر مايميزه فنة محببة تجعل حديثها يستميل الآذان ، ويأسر القلوب ، ايا كان موضوع هذا الحديث !

ولم يكن الشيخ مطمئنا الى سفر ابنته معه ، فقد كان الطريق غير مأمون حتى في هذا الوقت الذى عقدت فيه الهدنة بين المسلمين والصليبيين ، ولكن ابنته توسلت اليه ان تصحبه الى القاهرة لترى خالتها التى لم ترها منذ امد بعيد ، وقد رفض اول الامر ، ولكنه اضطر الى الموافقة حين لجأت ابنته الوحيدة الحبيبة الى دموعها الغزيرة التى لم يكن يقوى على ان يرى دمعة منها تنحدر من عينيها الجميلتين !

وكان الليل في اخرياته ، حين كانت القافلة تواصل مسيرها الى القاهرة ..

– ٢ –

دخل الفارس كونراد على الامير ريجينالد الذى كان يجلس في القاعة الفسيحة من حصنه المنيع ينتظر ما تأتى به الانباء ، ومعه جمع من قواده ورجال حاشيته .. فلم يكد يراه الامير حتى ابتدره بلهفة ظاهرة :

– ما وراءك يا كونراد ؟ هل رأيت القافلة ؟

– رأيتها ايها الامير

– وكم يبلغ عدد رجالها ؟

– نحو الاربعين .

– اذن فخذ كتيبة من الفرسان ، وحاصر القافلة ، واستول على ما فيها ، واقتل من يتصدى لقتالك الا رئيسها فانى اريده حيا .. اريد حيا .. أفهم ما أقول ؟

– نعم ايها الامير

... ومرة ثالثة ارتفع صوت الشيخ وهو يصرخ :

– الصليبيون الغادرون .. الى القتال ايها الرجال ..

ودار القتال ، ولكنه كان بين قوتين غير متكافئتين في العدد والعدة ، فاستشهد الكثيرون من رجال القافلة ، وأسر الباقون بعد أن اثخنوا المعتدين جرحا وتقتيلا ... وكان في الاسرى الشيخ جابر وابنه محمود ، وابنته فاطمة ...

– ٣ –

قال ريجينالد حين مثل الاسرى امامه ، وهو يشير الى الشيخ جابر :

– اقترب يا شيخ جابر

– فأجابه الشيخ على الفور :

– جابر هذا ليس اسمى

فقال ريجينالد متهكما :

– وما اسمك اذن ؟

– اسمى عبدالله

– اتقسم على ذلك ؟

– نعم .. اقسم انى عبدالله

– آه .. لقد فهمت ما تقصده ايها الماكر .. طبعا انت عبدالله .. وكلكم عبيد الله .. أليس كذلك ؟.. على كل حال احب أن اقول لك اننا نعرف كل شيء .. نعرف مثلا انك موفد من الملك سيف الدين الى اخيه السلطان صلاح الدين برسالة هامة .. وقد عرفنا هذا بوسائلنا الخاصة .. ونحن نريد هذه الرسالة .. نريدها بأى ثمن .. فما رأيك يا شيخ جابر .. او يا شيخ عبدالله ؟

– لو صح هذا الكلام لوجدتم معنا ما تريدون بعد طول البحث والتفتيش ..

– هذا لا يمنع انك حين رأيت الخطر ، اخفيتها في مكان لا يعرفه احد سواك .

– انا لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع .

– اسمع .. هل تقسم على انك لم تحمل هذه الرسالة ؟ هل تقسم بربك وشرفك وانت عربى مسلم ؟

– آه .. لقد سكت .. وسكوتك دليل قاطع على ما اقول ... والآن اين الرسالة ؟

– لن اقول شيئا .

– ولكنك ستقول حين تعرف ان حياة ابنك في كفة ... والرسالة في كفة اخرى .. وعليك ان تختار .. وسأمنحك مهلة تخلو فيها الى نفسك لتفكر في الامر ..

وفي السجن الملحق بالحصن ، اخذ الشيخ يفكر في مصيره ومصير من معه .

– ٤ –

كانت الشمس ما تزال قريبة من مشرقها ، لم تبتعد عنه الا قاب قوسين او ادنى حين قدم الراهب سرجيوس ليقابل الامير ريجينالد في امر هام .. وهذا الراهب يقيم مع غيره من الرهبان في دير يقع غير بعيد من الحصن ... وحين دخل على الامير حياه ، فرد تحيته في شيء من الضيق لا يكاد يلحظه الانسان ..

وقال الراهب حين لم يسأله الامير عن سبب مجيئه :

– لقد جئت لاتحدث الى الامير في امر خطير .

فقال الامير بصوت تسرى الدهشة في نبراته :

– امر خطير ؟!

– نعم امر القافلة العربية التى هاجمها رجالك ، فقتلوا بعض من فيها وأسروا الباقين .

– وماذا يهمك من هذه القافلة ايها الاب الجليل ؟

– يهمنى ان اعرف لماذا نقضت الهدنة التى عقدت بينكم وبين اخواننا المسلمين ... ويهمنى ايضا ان تطلق سراح الاسرى ..

وفي شيء من الحدة قاطعه الامير :

– هذه مسائل حربية لا يعرفها احد غيرنا نحن المحاربين.

– ولكننى اعرف أن نقض الهدنة من غير موجب يعد خيانة كبرى ..

والخيانة لا تتفق والدين الذى تقولون انكم جئتم للدفاع عنه .. ويغضب الامير ريجينالد ، ويكاد الغضب يخرجه عن طوره ، ولكنه لا يلبث ان يملك نفسه ، ثم يقول في صوت حاول ان يجعله هادئا :

– سأتجاهل هذا الكلام الجارح اكراما لصفتك الدينية ، ولكنى اقول لك انى فعلت ما فعلت لمصلحة الدين الذى ننتسب اليه انا وانت :

وهنا يحتد الراهب قائلا :

– لا تتكلم باسم الدين .. ان الدين برىء منكم جميعا .. انا نعرف انكم لم تحضروا الى هذه البلاد الا للسيطرة عليها

واستلاكها تحقيقا لمطامعكم الارضية ، وشهواتكم الدنيوية .

ـ لقد حضرنا لنخلص بيت المقدس من سيطرة المسلمين، ونخلصكم من ظلمهم .

ـ تخلصونا من ظلم المسلمين !! من ظلم اخواننا !! .. انكم تعرفون اننا معشر المسيحيين المقيمين في هذه البلاد عرب، وان المسلمين عرب مثلنا ، فنحن اخوة .. اخوة في العروبة واللغة والوطن .. اما الدين فهو لله ، واما الوطن فهو لنا نحن العرب مسلمين ومسيحيين ، ولن يكون لغيرنا ابدا .. انى اسخر منكم حين تسمون عدل المسلمين ظلما ، ثم تجعلون عدوانكم علينا دفاعا عنا .

ويستبد الغضب بالامير فيقول محتدا :

ـ اسمع .. انا امير هذه المنطقة .. والامر امرى .. ولن اضيع وقتى في الكلام معك .

ـ وانا ادرك بانك اذا اصررت على موقفك ، فسوف انضم انا ومن معى من الرهبان الى صفوف المسلمين ، لنحاربكم حتى آخر قطرة من دمائنا .

ـ هذا ليس بجديد عليكم .. فانا اعرف ان كثيرين من العرب المسيحيين يحاربون مع المسلمين ، وسوف نعاقبهم حين تنتهى الحرب بهزيمتهم الساحقة ، ونصرنا الحاسم .

ـ قبل ان اخرج اقول لك كلمة واحدة ، وهى ان الرب لا يمنح نصره الا لمن يستحقه .. وانتم لن تستحقوه ابدا .

— ٥ —

لم يذق الشيخ جابر طعم النوم في ليلته ، فقد ظل ساهرا يفكر في مصير ابنه حين يصر على موقفه .. وصحيح ان عزمه قد استقر على كتمان ما يعرف من امر الرسالة ، ولو ضحى بحياة ابنه في سبيل ذلك .. ولكن هذا لم يمنعه من الشعور بالحزن والحسرة على مصير ابنه الحبيب ... لقد كان يحس وهو يختلس النظر اليه ان قلبه يذوب بين ضلوعه ، ثم ينساب الى عينيه دموعا محرقة ، فيحاول جاهدا ان يحبس هذه الدموع حتى لا تكشف لاصحابه ما يشعر به من الحزن المطبق والالم العميق ... اما الفتى فكان فيما يبدو هادىء النفس مطمئن الخاطر ، كانه لا يشعر بالخطر الذى يحدق به ، ويهدد حياته ..

وقبيل الظهر جاء رسول الطاغية يطلب الشيخ وابنه ، وحين ادخلا اليه كان ما يزال يشعر بالحنق لما سمعه من كلام الراهب ، ولكنه قال في لهجة لينة :

ـ والآن يا شيخ جابر .. هل فكرت في الامر ، وعرفت ان حياة ابنك فوق كل شىء ؟

فاجاب الشيخ في ثبات :

ـ نعم فكرت .. ولكننى عرفت ان حياة الدين والوطن هى وحدها فوق كل حياة .

ـ اذن فقد اخترت .

ويرتفع صوت الطاغية وهو يصرخ في حراسه :

ـ خذوا هذا الولد فاقتلوه حالا .. خذوه .

وينقض الحراس على الفتى كما تنقض النسور الجوارح على الطائر الصغير ، ويدفعونه الى الخارج وهو يهتف بابيه :

تجلد يا ابى .. فلقاؤنا في الجنة .. في الجنة يا ابى .

فيصرخ ابوه في جزع :

ـ ابنى ... ابنى ..

ثم يملك نفسه ليقول في شىء من الهدوء :

ـ نعم .. لقاؤنا في الجنة يا بنى .. لقاؤنا في الجنة .

ويرى الطاغية هذا المشهد ، فيزداد غيظه ، ويشتد غضبه ، ويطلب احضار ابنة الشيخ .. وتحضر الفتاة وقد المت بما حدث لاخيها، فهى تجاهد ان تتجلد وتتماسك ، ويوزع الطاغية نظراته بين الفتاة وابيها ، ثم يقول وهو يبتسم ابتسامة المكر والدهاء :

ـ على كل حال لا تظن انك كسبت المعركة .. فما زال لدينا ما هو اهم من حياة ابنك .. انه .. شرف ابنتك !

ويضطرب الشيخ اشد الاضطراب ، ثم يصرخ في الطاغية:

ـ شرف ابنتى ! ايها النذل .. هل بلغت بك الخسة والنذالة ان تساومنى على شرف ابنتى ؟

ـ نعم انى اساومك .. وعليك ان تختار .

كان الشيخ يبدو كمن ضرب على ام راسه ضربة قاتلة : فهو يترنح من الالم والاعياء .. وخيل الى فاطمة انه يوشك ان يضعف وينهار فصاحت به :

ـ ابى .. لا تضعف .. واذكر ربك في هذه المحنة ... واياك ان تمكن اعداءنا من ديننا ووطننا .. واذكر ان هؤلاء لا يحفظ الذمم ، ولا يرعى العهود ..

ثم تتقدم الى الطاغية وهى تقول :

ـ والآن هانذا بين يديك .. فافعل بى ما تشاء .

وفي مثل لمحة البصر تنقض عليه فتنتزع خنجره ، ثم تغيبه في قلبها .. ويرى ابوها ما اقدمت عليه ، فيسرع اليها ، وينحنى عليها وهو يهتف بها :

ـ فاطمة .. ابنتى .. ماذا فعلت بنفسك ؟!

فتجيبه والدم يتدفق من صدرها :

ـ لقد دافعت عن شرفى يا ابى ..

وتتابع حديثها وهى تجود بانفاسها :

ـ ان .. بنت .. العرب .. لا .. تفرط .. في شرفها .

ويجهش الشيخ وهو يحتضن ابنته ، ثم ينظر الى الطاغية نظرة تفيض بالحقد والكراهية ويقول :

ـ الآن .. لا اخاف شيئا .. فافعل بى ما تشاء ... ايها الجبان ..

وكان الطاغية قد سمرته الدهشة ، وعقدت لسانه ، فما سمع كلام الشيخ حتى اخذ يصرخ فيمن حوله :

ـ اقتلوه .. اقتلوه .. اقتلوهم كلهم .. كلهم .

ويموت الشيخ دون ان يخبر احدا بما كان من امر الرسالة ..

ولا ندرى : هل اخفاها في مكان من الصحراء لا يعلم به احد سواه ، ام دفع بها الى احد الرجال حين كانت المعركة دائرة ، والظلام مخيما ، فاسرع بها الى القاهرة ، وسلمها الى السلطان ؟

**ابراهيم محمد نجا**

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٤٣

الثمن ٣